# مَصْلَحَتُنَا
# تَعَدُّدُ أَقْطَابِ العَالَم

## فَـــهْـــرَسُ هذا الـــمَـــقَـــال


1) القُطْبِيَة العَالَمِيَة تَعْبِير عَن صِرَاعَات وَمَوَازِين قِوى مُتَحَوّلَة...2
1.1- مِثَال مَيْدَان الإِنْتِرْنِيتْ (internet).....8
1.2- «حِلْف فَارْسُوفْيَا» (Varsovie) ضِدَّ «حِلْف النَاطُو» (NATO)...11
2) حَرْب أُوكْرَانْيَا هِيَ تَنَافُسٌ على اِحْتِكَار الهَيْمَنَة على العالم...14
3) كَيْفَ تُبَرِّرُ رُوسْيَا الحَرْبَ على أُوكْرَانْيَا.....17
4) مَاذَا كَان عَلَى أُوكْرَانِيَا أن تَفْعَلَه لِتَفَادِي الحَرْبَ.....22
5) حَرْب أُوكْرَانْيَا نِعْمَة على الإِمْبِرْيَالِيَات الغَرْبِيَة.....22
6) قِيَّادَة العَالَم تَكُونُ بِالطَلِيعِيَّة، وَلَيْسَ بِالقُوَّة القَاهِرَة.....25
7) حِينَمَا تَضُرُّ العُقُوبَات الاقتصادية بِالمُعَاقِب، والمُعَاقَب.....27
8) اِسْتِغْلَال الإِمْبِرْيَالِيَة لِأُطْرُوحَةَ "حَقّ التَدَخُّل في الشُؤُون الدَاخِلِيَّة".....31
9) مَصْلَحَة الشُعُوب تَكْمُنُ في تَعَدُّد وَتَنَافُس أَقْطَاب العَالَم.....36

# 1) القُطْبِيَة العَالَمِيَة تَعْبِير عَن صِرَاعَات وَمَوَازِين قِوى مُتَحَوِّلَة

يُمْكِنُ أن نَجْزِم أنه، في قُرَابَة السَنَة المُقْبِلَة 2030، لَنْ تبقى الولايات المتحدة الأمريكية هي القوّة الوحيدة المُهَيْمِنَة على العالم. بَل سَتُصْبِح الأَقْطَاب السَّائِدَة في العَالَم مُتَعَدِّدَة، وَمُتَنَافِسَة. لأن القاعدة العَامَّة هي أن لَا شيء دَائِم في الكون. فَكَمْ مِن إِمْبَرَاطُورِيَة قَدِيمَة شَاخَتْ، ثمّ زَالَتْ. وَكُلّ شيء في تَحَوُّل مُتَوَاصِل. الفَاعِلُون الأَقْوِيَّاء، يَتَحَوَّلُون إلى ضُعَفَاء. وبعض الفاعلين الضُعَفَاء، الذين كانوا في السَّابِق مَقْهُورِين، يُقَاوِمُون، وَيَجْتَهِدُون، ثُمَّ يَتَحَوَّلُون إلى مُنْتَصِرِين، ثُمّ إلى أَقْوِيَاء. وعدد مِن الدُول القَوية القَدِيمَة، تَتَحَوَّلُ إلى دُول ضَعِيفَة، ثم تَزُولُ. وبعض الدُول الجَدِيدة الضَعِيفَة، قَدْ تَتَحَوَّلُ إلى دُوَل قَوِيَة. وَبَعْدَ بُلُوغِهَا ذِرْوَة مُعَيَّنَة مِن القُوَّة، تَضْعُفُ هي نفسها، ثم تَزُول. وهكذا. المَسْأَلَة قضية وقت، وَعَزِيمَة، واجتهاد. وقد سبق لِلْمُؤَرِّخ إِبْن خَلْدُون (1332 – 1406) أن وَضَّح هذه القَاعِدَة العامّة في كتابه «المُقَدِّمَة».

وبعد الخُروج مِن «الحرب العالمية الثانية» في سنة 1945، تَحَوَّلَ آلِيًّا المُنْتَصِرُون في هذه الحرب إلى «***أَقْطَاب مُتَعَدِّدَة*** وَسَائِدَة على العَالَم».

وَمَعْنَى «***القُطْب المُهَيْمِن العَالَمِي***» (***المُفْرَد***) هو الدولة التي تَتَمَيَّزُ بِقُوَّة اقتصادية، وَعَسْكَرِيَة، وسياسية، وثقافية، وَتَقْدِرُ على

التَّأْثِير، بِشَكْل سَرِيع وَمَلْحُوظ، في تَطَوُّر مَصِير جُزْء هَامّ مِن دُوَل العالم، سَوَاءً كان هذا التَأْثِيرُ إِيجابيًا أم سَلْبِيًا. وَيُمكن لِهذه الهَيْمَنَة، في غَالِبِيَة الحالات، أن تَكُون شَامِلَة، أو شُمُولِيَة، بِمَعْنَى أنها تَشْمَل عِدَّة مَيَادين، بِمَا فيها على الخُصُوص الاقتصاد، والسياسة، والثَقَافَة، والمَيْدَان العَسْكَرِي، الخ. ***وَالأَقْطَاب المُهَيْمِنَة العالمية*** (***المُتَعَدِّدَة***) هي مجموعة دُوَل العَالم التي تَتَوَفَّرُ في كُلّ وَاحِدَة منها صِفَات «***القُطْب المُهَيْمِن العَالَمِي***» (المُفْرَد) السَّابِقَة الذِّكْر.

و بعد سنة 1945، كانت هذه الأقطاب العَالَمِيَة هي : الولايات المُتّحدة الأمريكية، وَالاتحاد السُوفْيَاتِي، وَأَوْرُوبَّا الغربية (بما فيها إِنْجْلَتِرَّا، وَفَرَنْسَا، القُوَّتان الاِسْتِعْمَارِيَّتَيْن المُتَقَهْقِرَتَيْن بَيْنَ سَنَتَيْ 1945 و 1970، الخ). (وَلَوْ أن تَأْثِير الاتحاد السوفياتي والصِّين على بُلدان "العالم الثالث" (tiers-monde) كان مَحْدُودًا، أو ضَعِيفًا، أو شِبْهَ غَائِب).

وبعد اِنْهِيَّار ***الاتحاد السوفياتي*** في قُرَابَة سنة 1991، أصبحت ***الولايات المتحدة الأمريكية*** هي ***القُطْب الوَحِيد المُهَيْمِن على العالم***. لكن هذا النظام العالمي ذُو القُطْب الوَحِيد المُهَيْمِن، بَدَأَ بِسُرْعَة يَهْتَزُّ، أو يَتَفَكَّك. لأن قُوَّة الصِين الاقتصادية والعسكرية تَصَاعَدَت بِسُرعة (في ظَرْف قُرَابَة 70 سنة). بَل غَدَت ***الصِّين***، منذ قُرَابَة سنة 2020، مُؤَهَّلَة لِتَجَاوُز الولايات المتحدة الأمريكية، على المُسْتَوَيَات الاقتصادية، والعسكرية. ولأن ***رُوسْيَا*** مَا تَزَال قُوَّة عَسْكَرِيَة هَامَّة، ولو أن قُوّتها الاقتصادية بَقِيَت ضَعِيفَة، أو غير كَافِيَة. ولأن دُول أخرى صَاعِدَة مثل ***الهِند***،

***والبرازيل، وجنوب إفريقيا***، وحتى إيرَان نِسْبِيًّا، ظَلَّت قُوَّتُها تَنْمُو، وَتَتَزَايَد.

ويجب أن نُدْرِك جَيِّدًا أنه، ***في إطار الصِّرَاع بين الأَقْطَاب المُهَيْمِنَة في العَالَم***، لَوْلَا وَجُود الاتحاد السُوفْيَاتِي، بين سنوات 1945 و 1991، لَمَا وُجِدَت «الحَرْبُ البَارِدَة» بين «المُعَسْكَر الرَأْسَمَالِي الإِمْبِرْيَالِي» وَ«المُعَسْكَر الاشتراكي». وَلَوْلَا وُجُود دَعْم الاتحاد السُوفْيَاتِي لِلصِّين، بين سنوات 1945 1976، لما كانت الصِّين على ما هي عليه، بين سنوات 1990 و 2022. وَلَوْلَا دَعْم الاتحاد السُوفْيَاتِي والصِّين لِكُورْيَا الشَمَالِيَة، وَلِفِتْنَام، وَلِكُوبَا، بين قُرَابَة سنوات 1950 و 1985، لَما كانت كُورْيَا الشَمَالِيَة، وَفِتْنَام، وَكُوبَا، على ما هي عليه، في سنوات 2020. وَلَوْلَا نَجَاح ثَوْرَة المَلَالِي في إيرَان في سنة 1976، وَاِتِّبَاعِهَا نَهْجًا وَطَنِيًّا مُنَاهِضًا لِلْإِمْبِرْيَالِيَّات الغَرْبِيَة، وَلِلصَّهْيُونِيَة، لَمَا وُجِدَ «حِزْب الله» المُقَاوِم في لُبْنَان (بين سنوات 1995 و 2020)؛ وَلَمَا وُجِدَت حَرَكَة «الحُوثِيِّين» المُقَاوِمَة في اليَمَن؛ وَلَمَا تَقَوَّت «حَرَكَة حَمَاس» الفَلَسْطِينِيَة المُقَاوِمَة في غَزَّة. وَلَوْلَا هَيْمَنَة أَمْرِيكَا وَ«حِلْف شَمَال الأَطْلَسِي» على العالم، لَمَا حَدَثَ تَخْرِيب العِرَاق في سنة 2003، ثُمَّ تَخْرِيب سُورْيَا وَلِيبْيَا في سنة 2011. وَلَوْلَا هَيْمَنَة القُطْب الوَحِيد الأَمْرِيكِي على العالم، لَمَا ***قَامَت أمريكا بِتَنْظِيم عِدَّة مُحَاوَلَات اِنْقِلَاب***، مِنْهَا مَثَلًا اِنْقِلَاب في إيران في سنة 1953؛ ومنها اِنْقِلَاب أَطَاح بِالرَّئِيس الاشتراكي سَالْفَادُور أَلْيِنْدِي (Salvador Allende) في بِلَاد الشِيلِي (Chili) في سنة 1973؛ وَمِنْهَا عِدَّة مُحَاوَلَات اِنْقِلَاب في نِيكَارَاغْوَا، وَهُونْدُورَاس، وَبُولِيفْيَا، الخ،

بين سنوات 1960 وَ 1990؛ ومنها اِنْقِلَابات في فِينِيزْوِيلَّا في سنة 2002، ثُمّ في سنة 2019؛ وَمِنْهَا اِنْقِلَاب في أُوكْرَانْيَا في سنة 2014، أَطَاحَ بالرئيس الأُكْرَانِي فِيكْتُور لَانُوكُوفِيتْش (Victor Lanoukovitch) المُتَعَاطِف مع رُوسيا؛. [وذلك هو مَا اِعْتَرَفَ بِهِ مَثَلًا جُونْ بُولْطُون (John Robert Bolton)، مُسْتَشَار الأَمْن القَوْمِي السَّابِق لِلولايات المتحدة الأمريكية، في يوم 14 يُولْيُوزْ 2022]. وَلَوْلَا تَضَاعُف هَيْمَنَة أَمْرِيكَا، وَ«حِلْف شَمَال الأَطْلَسِي»، بين قُرَابَة سنوات 2016 و 2022، لَشَنَّت أَمْرِيكَا وَإِسْرَائِيل حَرْبًا مُبَاغِتَة وَمُدَمِّرَة على إِيرَان، لِتَخْرِيبِهَا، مثلما فَعَلَت بِالعِرَاق في سنة 2003، ثمّ بِسُورْيَا وَلِيبْيَا في سنة 2011.

مَا مَعْنَى مَا ذُكِرَ سَابقًا ؟ مَعْنَاه أن ***الصِّرَاع بين الأَقْطَاب المُهَيْمِنَة في العَالَم، هُوَ الذي قَدْ يُتِيح، أو قَدْ لَا يُتِيح، خَلْق بعض التَغْيِيرَات في العَالَم، والتي غَالِبًا مَا تَكُون ذات بُعْد اِسْتِرَاتِيجِي.*** لِذَلِك نَقُول أن مَصْلَحَة شُعُوب "العالم الثالث" تَكْمُن في تَعَدُّد الأَقْطَاب السَّائِدَة في العالم، لأن هذا التعدّد في الأقطاب هو الذي يُتِيح فُرَصًا أكبر، وَأَكْثَر، لِشُعُوب "العالم الثالث"، وَذَلِكَ بِالمُقَارَنَة مع حَالَة قُطْب وَاحِد مُهَيْمِن على العالم.

وَيُدُور حالِيًّا (في سنة 2022) صِرَاعٌ حَادٌّ، وَشَرِسٌ، بين الولايات المُتّحدة الأمريكية مِن جهة، ومِن جهة أخرى رُوسْيَا والصّين، حول أَيٍّ مِنْهُم يَحْتَلُّ ***مَوْقِعَ الهَيْمَنَة على العالم.*** وَبِقَدْرِ مَا تُحِسُّ الإمبريالية الأمريكية أن هَيْمَنَتِهَا على العَالَم تَفْلِتُ تَدْرِيجِيًا مِن قَبْضَتِهَا، بِقَدْرِ مَا تُوَاجِهُ المُنَافِسِين الصَّاعِدِين بِعُدْوَانِيَة شَرِسَة، وَعَنِيفَة.

فهل مصلحتنا (نَحْنُ شُعُوب "العالم الثالث") تُوجد في اِسْتِمْرَار النِظَام العالمي القديم، ذُو ***القُطْب الوَحِيد المُهَيْمِن،*** والذي تُهَيْمِنُ فيه الولايات المُتّحدة الأمريكية وحدها على العالم، أم أن مصلحتنا تَكْمُن في الانتقال إلى ***نظام عالمي جديد، مُتَعَدّد الأقطاب السَّائِدَة في العالم؟*** وهل مصلحتنا تَكْمُن في هَزِيمَة رُوسْيَا في حَرْبها غير المباشرة ضِدَّ «حِلْف شَمَال الأَطْلَسِي» (NATO)، الجَارِيَة فَوْقَ التُرَاب الأُوكْرَانِي، أم أن مصلحتنا تَكْمُن في انتصار رُوسْيَا والصِّين ضِدَّ «حِلف شَمَال الأطلسي» (NATO) ؟

أُطْرُوحَة المقال الحَالِي تُحَاوِلُ تَوْضِيح أن مَصلحة شُعوب "العالم الثالث"، تَكْمُن في الخُروج مِن النظام العَالمي القَدِيم، المُنَظَّم على أساس ***قُطْب وَحِيد مُهَيْمِن (إِمْبرْيَالِي) على العَالَم؛*** وَتَكْمُنُ في الانتقال نحو ***نِظام عَالَمِي جَدِيد، مُتَعَدّد الأَقْطَاب السَّائِدَة.*** وَيَتَجَلَّى حاليًا هذا القُطب المُهَيْمِن الوحيد في سَيْطَرَة إِمْبرْيَالِيَة الولايات المتّحدة الأمريكية، وحِلْفِهَا العسكري "النَّاطُو" (NATO)، على العالم. وهذا التَغْيِير (مِن قُطْب مُهَيْمِن واحد إلى أَقْطَاب مُهَيْمِنَة مُتَعَدّدَة) مَطْلُوب حَتَّى وَلَوْ كانت كلّ هذه الأقطاب السَّائِدَة البَدِيلَة (أَيْ رُوسْيَا والصِّين) رَأْسَمَالِيَة، أو إِمْبرْيَالِيَة مِن صِنْف جديد.

وَرَغْمَ أنني أُنَاصِرُ الاشتراكية، وَرَغْمَ أنني أُعَارِضُ غَوْصَ رُوسْيَا والصِّين في الرَأْسَمَالِيَة، وَفِي أَنْظِمَة سياسية مُسْتَبِدَّة أو فَاسِدَة، فإنني أُفَضِّلُ أن تكون رُوسيا والصِّين ضِمْنَ الأَقْطَاب السَّائِدَة في العالم، بَدَلًا مِن تَكون الولايات المتّحدة الأمريكية هي

القُطْب الوَحِيد المُهَيْمِن على العالم. والصِرَاع العَالَمِي الحَالي، هو في جَوْهَره، صِرَاع بين الرَأْسَمَالِيَة المُتَقَهْقِرَة، والاشتراكية النَاشِئة؛ وَلَوْ أن الأَحْدَاث الرَّاهِنَة تَظْهَرُ بَعِيدَة جِدًّا عَن هذه الأُطْرُوحَة. وَإِدْرَاكِي لِمَحْدُودِيَة آفَاق الرَأْسَمَالِيَة، يَجْعَلُنِي أَثِقُ أن ثَوَرَات اِشْتِرَاكِية تَصْحِيحِيَة سَتَحْدُثُ لَاحِقًا في رُوسْيَا، وَفِي الصِّين. وهذا التَعَدُّد المَطْلُوب حَالِيًّا في الأَقْطَاب المُهَيْمِنَة على العالم، هو الذي يَفْتَحُ إِمْكَانِيَة ظُهُور وَنُمُوّ أَقْطَاب أُخْرَى جَدِيدَة وَإِضَافِيَة إلى الأقطاب المُهَيْمِنَة القَدِيمَة، المَذْكُورَة سَابِقًا.

وَالمُهِم حَالِيًّا (في مَجَال تَبْرِير الانتقال مِن قُطْب وَاحِد مُهَيْمِن على العَالَم إلى أَقْطَاب مُهَيْمِنَة مُتَعَدِّدَة) هو أن التَنَاقُض بين رُوسْيَا والصِّين من جهة، وَمِن جهة أُخْرَى الإِمْبِرْيَالِيَّات الغَرْبِيَة وَحِلْفِهَا العَسْكَرِي (حِلْف شَمَال الأَطْلَسِي NATO)، يُحْتَمَل أَنْ يَدْفَعَ رُوسْيَا والصِّين إلى القِيَّام بِمُنَاصَرَة، وَلَوْ جُزْئِيَة، لِمَصَالح بعض شُعُوب العالم الثالث (مثل إِيرَان، وَسُورْيَا، وَكُوبَا، وَفِينِيزْوِيلَا، والجَزَائر، واليَمَن، ولبنان، الخ). الشيء الذي سَيُسَاعِدُهَا على مُقَاوَمَة ضُغُوطَات، وَمُنَاوَرَات، الإمبرياليات الغَربية.

ويطرح المقال الحالي، أن ***نظام القُطب الإمبريالي الوحيد المُهَيْمِن، يُؤَدّي بالضَّرُورة، إلى تَصَرُّف هذا القُطب الوحيد المُهَيْمِن بِشكل أَنَانِي، وَعَدَائِي، وَمُفْرِط، في مَيَادين استغلال شُعوب العَالم الثَالث، وَنَهْبِهَا***. فَيَكُون بالضّرورة سُلُوك القُطب الوحيد الإمبريالي المُهَيْمِن خَارِقًا لِحُقُوق الشعوب، وَمُنَاقِضًا لِحُقُوق الإنسان. بينما وُجود أَقطاب مُهَيْمِنَة مُتعدّدة، يَفرض عل هذه الأقطاب بأن تَتَنَافَسَ فيما بينها، وَأَنْ تَعْرِضَ أحسن مَا

عندها على شعوب العالم.

***وَيَفْتَحُ نِظَام تَعَدُّد الأقطاب المُهَيْمِنَة في العالم، لِشُعوب بلدان العالم الثالث، إمكانيات اختيّار التعامل مع القُطْب المُهَيْمِن الذي هو أَكْثَرُ إِفَادَة، أو أَقَلُّ ضَرَرًا، بِالمُقَارَنَة مع الأَقْطَاب الأُخْرَى المُهَيْمِنَة.***

وتَحَوُّل العالم من أُحَادية القُطْب المُهَيْمِن، إلى أَقْطَاب مُهَيْمِنَة مُتَعَدِّدَة وَمُتَنَافِسَة، يَسْتَوْجِبُ حَالِيًّا بَدْلَ مَجهودات جَبّارة مِن طرف الدوّل الصَّاعِدَة، والتي هي حاليًّا الصّين، وَرُوسيا، والهند، والبرازيل، وإيران، إلى آخره. وَسَيَتَطَلَّب هذا التَحَوُّل حُدُوثَ صِرَاعَات حَادّة، وَسَاخِنَة، وَمُؤْلِمَة، وَمُعَقَّدة. وَقَدْ يَحتاج هذا التَحَوُّل إلى مُرُور عِدَّة سنوات، أو إلى حُدُوث عِدَّة «حُرُوب غَيْر مُبَاشِرَة»، أو «حُرُوب بِالوَكَالَة»، (مثل حَرْب أُوكْرَانْيَا الحَالِيَة)، أو رُبَّمَا حتى «حرب عَالمية» مِن صِنْفٍ جديد، في حالة تَعَنُّت، أو تَحَدِّي، القُطْب الوَحِيد المُهَيْمِن القديم، الذي هو الولايات المتّحدة الأمريكية.

وَمِن المُلَاحَظ أن ***هَيْمَنَة القُطْب الوحيد تُصْبِح بِسُرْعَة مُضِرَّة بِشُعُوب العالم الثالث، في العديد مِن الميادين، وَأَبْرَزُهَا التِجَارَة، والاقتصاد، والاستثمار، والبُنُوك، والتَنْمِيَة، والدِيمُوقْرَاطِيَة، والتِكْنُولُوجِيَات، وَالأَسْلِحَة، والإِعْلَام، والصَّيْدَلَة، والإِنْتِرْنِيت*** (*internet*)، ***الخ.***

## 1.1- مِثَال مَيْدَان الإِنْتِرْنِيتْ (*internet*)

[وَلِتَوْضِيح مَسْأَلَة تَعَدُّد الأَقْطَاب المُهَيْمِنَة على العالم، كان

بالإمْكَان أن أَتَنَاوَل هذه المَسْأَلَة مِن خِلَال دِرَاسَة عِدَّة مَيَادِين، مثل مَيَادِين التِجَارَة، والاقتصاد، وَالمَالِيَة، والاستثمار، والبُنُوك، والتَنْمِيَة، والدِيمُوقْرَاطِيَة، والتِكْنُولُوجِيَات، وَالأَسْلِحَة، والإِعْلَام، والطِبّ وَالصَّيْدَلَة، والإِنْتِرْنيت (internet)، الخ. لكنني فَضَّلْتُ الإِكْتِفَاء بِتَقْدِيم بعض الإِشَارَات التَوْضِيحِيَة الجُزْئِيَة، وَلَوْ بِشَكْل عَابِر، وَلَوْ في مَيْدَان وَاحِد وَمَحْدُود، وَغَيْر مَأْلُوف، وعلى هَامِش المَوْضُوع الرئيسي، هُوَ مَيْدَان ***الإِنْتِرْنيتْ*** (internet).

وَنُلاحظ في مَيْدَان الإِنْتِرْنيت أن أمريكا تُشَكِّل حَالِيًّا القُطْب الوحيد المُهَيْمِن على عالم الإِنْتِرْنيت. وَتَتَحَكَّمُ اليوم الولايات المتحدة الأمريكية في شَبَكَة الإِنْتِرْنيت، وفي مُعْظَم تِقْنِيَات العالم الرَّقْمِي. وَأَصبح الإِنْتِرْنيت أَدَاةً مُفِيدَة، في كلّ المَيَادِين، وفي كلّ المِهَن. وَلَوْ أن الأَمْنَ في الإِنْتِرْنيت مَا زَالَ هَشًّا. وَغَدَى أيضًا الإِنْتِرْنيتْ وَسِيلَة ضخمة لِجَمْع المُعْطَيَات حَوْل المِئَات مِن مَلَايين المُسْتَعْمِلِين لِلْإِنْتِرْنيت في العالم. وَفي سنة 2021، تَحت حُكم الرئيس الأمريكي دُونَالد اتْرَامْب (Donald Trump)، مَنَعَت الولايات المُتحدة الأمريكية الصِّينَ مِن بَيْع، أو نَشْر، مَنْظُومَة المُوَاصَلَات مِن الجِيل الخامس «5 ج» (5G) إلى مُخْتَلَف بُلدان العَالَم. وَمَنَعَتْ أَمْرِيكَا بعض الدول الحَلِيفَة لها (مثل اِنْجَلْتْرَا، وَكَنَدَا) مِن شِرَاء هذه التِقْنِيَات أو التَجْهِيزَات مِن عند الصِّين. وَرَغْمَ أن اِنْجَلْتْرَا، وَكَنَدَا، وَقَّعَتَا اِتِّفَاقِيَات تِجَارِيَة مع الصِّين لِشِرَاء وَلِتَرْكيب تَجْهِيزَات «5ج» (5G)، فَرَضَت عليهما أمريكا إِلْغَاء تلك الإِتِفَاقِيَّات. وسبب ذلك المَنْع، هو أن أمريكا أَرَادَت إِجْهَاض، أو إِفْشَال، تَفَوُّق الصِّين في هذا الميدان التِكْنُولُوجِي الحَيَوِي الجَدِيد

(5G). ومثل هذه السُلُوكيَات المُهَيْمِنَة، والعُدْوَانِيَة، تَعُوقُ حُرِّيَة التِجَارَة الرَأْسَمَالِيَة، وَتُبْطِئُ تَنْمِيَة بعض الأَنْشِطَة الاقتصادية الجَدِيدة، أو تُقَوِّضُ حُرِّيَة الوُصُول إلى المَعْلُومَات، أو قد تُهَدِّد بعض الحُرِّيَات الديموقراطية في العالم الرَّقْمِي. لكننا نَعْتَرِفُ هُنَا أن هَيْمَنَة أمريكا على العالم الرّقمي، لَم تَنْتُج عن مُجَرَّد احتلال سَافِر، وَإِنَّمَا نَتَجَت عن كَوْنِهَا كانت سَبَّاقَة إلى اِسْتِثْمَار أموال ضخمة، وَمُتَوَاصِلَة، خِلَال عُقُود مُتَوَالِيَة، في مَيَادِين الحَوَاسِيب ( computers)، والبَرْمَجِيَّات (logiciels) الرقمية. والدول الوحيدة التي لها اليَوْمَ قُدْرَة على صُنْع وتَرْكيب حَوَاسِيب، وَلَهَا شَبكة إِنْتِرْنيت جاهزة للعمل بشكل مُستقل عن أمريكا، ولها مُحَرِّكَات بَحث، ولها عدد لَا بَأْسَ به من التطبيقات (applications) الرَقْمِيَة البَدِيلَة نِسْبِيًّا عن أكبر وأهم التَطْبِيقَات الرَقْمِيَة الأمريكية، هي الصِّين، وبدرجة أقل روسيا، وألمانيا، والهِنْد، الخ. بَيْنَمَا مَصَالِحُ الشُعُوب، وكذلك الحاجة إلى الديموقراطية الرَّقْمِيَة، على الصعيد العالمي، تَسْتَوْجِبُ تَعَدُّد الأقطاب القَوِيَة وَالسَّائِدَة في فضاء الإِنْتِرْنيت. أَمَّا هَيْمَنَة قُطْب واحد على العالم الرقمي، وعلى الإنترنيت، فَإِنه يُؤدّي بالضرورة إلى هَيْمَنَة رَقْمِيَة، ثمّ إلى استبداد سياسي. وَتَكْمُنُ مصلحة عَامّة شُعوب العالم في وُجُود ***إِنْتِرْنيت عالمي مُشْتَرَك، وَمُوَحَّد، وَمَفْتُوح، وَحُرّ، ومجّاني، وَدِيمُوقراطي.*** كما تَسْتَوْجِبُ مصلحة عامّة شعوب العالم ضمانَ ***حُرِّيَة الوُصول، عَبْرَ الإِنْتِرْنيت، إلى مُجمل المَعْلُومَات (الثقافية، والعِلْمِيَة، والتِكْنُلُوجِيَة، والاقتصادية، والقانونية، الخ). لأن مَصْلَحَة الإنسانية تُوجِبُ تَقَاسُم كلّ المَعَارِف.*** وَالحَضَارَة

الرَقْمِيَة العالمية الجديدة الناشئة تَسْتَوْجِبُ أن يكون بِإِمْكَان كل مواطن، وَمَهْمَا كان بَلَدُهُ في العالم، التَوَفُّرُ على جِهَاز طَرَفِي إلكتروني (مثل الهاتف الذَكِي، أو الكَمْبْيُوتَر المَحْمُول، الخ)، وَبِأَرْخَصِ ثَمَنٍ مُمْكِن، وأن يكون هذا الجِهَاز بدون «باب خلفي» (back-door) يَسْمَحُ بِالتَجَسُّس عليه. كما يجب أن يكون بِمَقْدُورِ كل مواطن في العالم أن يدخل إلى هذا الإنترنيت المُوَحَّد، وأن يصل إلى مُجمل المَعْلُومَات بشكل حُرّ، وَمَجَّانِي، دُون التعرّض لِلتَجَسُّس، وَدُون اِسْتِبَاحَة معلوماته الشخصية، وَدُون إِغْرَاقِهِ، ضِدَّ إِرَادَتِه، في إِشْهَار تِجَارِي غير مرغوب فيه. وَمُنْذُ عُقُود، تُوجد عَبْرَ مُختلف أنحاء العالم، عِدَّة مُؤَسَّسَات جَمَاعِية، أو مُشْتَرَكَة، وَغَيْر رِبْحِيَة (مثل Linux, Open Office، الخ). وَتُنَاضِلُ هذه المُؤَسَّسَات بِهَدَف تَطْوِير تطبيقات رَقْمِيَة، تَتَمَيَّزُ بِكَوْنِهَا حُرَّة (free)، وَمَجَّانِيَة، وَمَفْتُوحَة المَصْدَر (Open Source)، وَمُبَاحَة لِكُلّ مُوَاطِنِي العالم. ومن المطلوب في كلّ جهاز هاتف ذَكِي، أو كُمْبْيُوتَر مَحْمُول، مَعْرُوض لِلبيع، أن يَكُون مُصَمَّمًا بِأَنْظِمَة مَفْتُوحَة (Open Source)، مِثْل مَنْظُومَات Linux, Androide، وقائمة على بَرْمَجِيَّات حُرّة (logiciels libres)، وخاضعة لِلنَقْد، ولِلمُحاسبة، ولِلْمُرَاقَبَة، وَلِلتَحْسِين، وَلِإِعَادَة الاستعمال. وَمَا عَالَم الإِنْتِرْنِيت المَعْرُوض هنا سِوَى مِثَال جُزْئِي، في مَيَادين قَضِيَة تَعَدُّد الأَقْطَاب السَّائِدَة في العالم].

## 1.2- «حِلْف فَارْسُوفْيَا» (*Varsovie*) ضِدَّ «حِلْف النَاطُو» (*NATO*)

وَلِفَهْم إِشْكَالِيَة ***تَعَدُّد الأَقْطَاب السَّائِدَة في العالم***، يجب التَعَرُّف على الأَحْلَاف الكُبْرَى التي كانت مُتَصَارِعَة إِبَّان «الحَرْب البَارِدَة»، بين سنتي 1945 و 1991. وَلِاسْتِيعَاب بعض التَطَوُّرَات التي جَرَت على الصعيد العالمي، يَلْزَمُ التَذْكِير، وَلَوْ بِإِيجَاز، بِالصراع بين «حِلْف النَاطُو» (NATO) وَ«حِلْف فَارْسُوفْيَا» (Varsovie). وقد كان هذان الحِلْفَان هما قُطْبَي «الحرب البَارِدَة» بين المُعَسْكَر الرَأْسَمَالِي الإمبريالي، والمُعَسْكَر «الاشتراكي» المُفْتَرَض. و«حِلْف النَاطُو» (NATO) هو حِلْفٌ سِيَاسِي وعَسْكَرِي. وَقَد تَأَسَّسَ مُبَاشَرَةً بعد «الحرب العالمية الثانية»، في 4 أبريل 1949. وكان هَدَف «حِلْف النَاطُو» (NATO) الرَأْسَمَالِي هو الاِسْتِعْدَاد لِمُحَارَبَة «خَطَر الشِيُوعِيَة» القَائِمَة آنذاك في الاتحاد السوفياتي، وَفي الجُمْهُورِيَات «الشِيُوعِيَة» الحَلِيفَة لَهُ. وفي سنوات 1950، لَمْ تَكُن الإِمْبِرْيَالِيَات الغَربية تَرَى في الصين أَيَّ خَطَرٍ جِدِّي. لأن الصِّين كانت آنَذَاك بَلَدًا فِلَاحِيًّا مُتَخَلِّفًا في "العالم الثالث". وكانت الصين تُعَانِي مِن حَرْب أَهْلِيَة داخلية (بين الحزب الشيوعي وحزب الكُيُومِينْطَان). وكانت الإمبريالية تُزَوِّدُ حزب الكُيُومِينْطَان بِالأَسْلِحَة. وَلَمْ يَكُن مُسْتَوَى النُمُوّ الاِقْتِصَادي في الصِّين بين سنوات 1945 و 1955 يَخْتَلِف عن مُستوى نُمُوّ الكثير من البُلْدَان الناطقة بالعربية.

وَكَانَ نَقِيضُ «حِلْف النَاطُو» (NATO) هو «حِلْفُ وَارْسُو». وَ«حِلْفُ وَارْسُو» هو تَحَالُف اقتصادي وسياسي وعسكري، وَكان

يَجْمَعُ كُلًّا مِن الاتحاد السوفيتي، وَدُوَل أَوْرُوبَّا الشَرْقِيَة (أَلْبَانْيَا، وَبُولْغَارْيَا، وَرُومَانْيَا، وَهَانْغَارْيَا، وَبُولُونْيَا، وَاتْشِيكُوسْلُوفَاكْيَا، وَأَلْمَانْيَا الشَرْقِيَة). وَكَان هَدَف «حِلْفُ وَارْسُو» هو إِقَامَة «الصداقة، والتعاون، والمساعدة المُتَبَادَلَة»، فيما بين أعضاءه. وَلَمْ يَتَأَسَّس «حِلْفُ وَارْسُو» إِلَّا سِتَّةَ سنوات مِن بَعْد تَأْسِيس «حِلْف النَاطُو» (NATO). أي في 14 مايو 1955.

وَكَانَت دُوَل «حِلْف النَاطُو» (NATO) تَقُول أن ***عَدُوَّهَا*** لَيْسَ هُو الشعب الرُّوسِي، (أو الشعب الصِّينِي)، وَإِنَّمَا هو «الشِيُوعِيَة» القَائِمَة في الاتحاد السوفياتي. وَكان المَنْطِقُ يَسْتَوْجِبُ أن يَحُلّ «حِلْف النَاطُو» (NATO) نَفْسَهُ في دِيسَمْبَر 1991، حِينَمَا اِنْهَارَ عَدُوُّه الأساسي الذي هو الاتحاد السُوفْيَاتِي، وَانْشَطَرَ إلى 15 جُمْهُورِيَة مُسْتَقِلَّة. حيثُ أن رُوسْيَا وَ 14 جُمْهُورِيَة اِنْفَصَلُوا عَن بَعْضِهم بعضًا، وَانْتَقَلُوا كُلُّهُم فَجْأَةً مِن «اِشْتِرَاكِيَة» مُفْتَرَضَة إلى الرَأْسَمَالِيَة المُتَوَحِّشَة[1].

***وَرَغْمَ زَوَال «الشِيُوعِيَة»، عَدُوّ دُوَل «حِلْف النَاطُو» (NATO)، لَمْ يَحُلْ هذا الحِلْفُ نَفْسَهُ.*** كَأَنّ المُبَرِّر الأَصْلِي لِلْعَدَاوَة، ليس هو الاختلاف في نَمَط الإِنْتَاج الاقتصادي (أي «الرَأْسَمَالِيَة» ضِدَّ «الاشتراكية»)، وَإِنَمَا هُو ***عُنْصُرِيَة قَوْمِيَة غَرْبِيَة، مُعَادِيَة لِلرُّوس كَرُوس، (وَمُعَادِيَة لِلصِّينِيِّين بِاعْتِبَارِهِم صِينِيِّين)***. وَيُمكن لهذه العَدَاوَة القَوْمِيَة أن تَجُرُّ إلى «حرب عالمية» ثَالِثَة مُبِيدَة لِلحَيَاة على وَجْه الكُرَة الأرضية.

وَاِنْتَقَلَ «حِلْف النَاطُو» (NATO) مِن الدِفَاع إلى الهُجُوم، رَغْمَ أن الصِّين اِنْتَقَلَت، هي أيضًا، وَبِالتَدْرِيج، مِن «الاِشْتِرَاكِيَة» إلى

«الرَأْسَمَالِيَة». وَأَخَذَ «حِلْف النَاطُو» (NATO) يَفْعَلُ كُلّ مَا في وُسْعِهِ لِكَيْ يَسْتَقْطِبُ جُمْهُورِيَّات أَوْرُوبَّا الشَرْقِيَة، التي كانت سَابِقًا حَلِيفَة لِرُوسْيَا «الشيوعية». وَحَوَّلَ «حِلْف النَاطُو» هذه الجُمْهُورِيَّات، الوَاحِدَة تِلْوَ الأُخْرَى، إلى عَدُوٍّ مُجَنَّد ضِدَّ رُوسْيَا، وَضِدَّ الصِين، وَلَو أن رُوسْيَا والصِّين إِنْتَقَلَتَا مِن «الاشتراكية» إلى «الرَأْسَمَالِيَّة». وَأَقَامَ «حِلْف النَاطُو» (NATO) قَوَاعِدَ عَسْكَرِيَة، وَمَنْظُومَات من الصَوَارِيخ المُتَنَوِّعَة، وَرَادَارَات تَجَسُّس، فوق تُرَاب هذه الجُمْهُورِيَات الشَرْقِيَة. الشيء الذي يَفْضَحُ أن هذه الأَحْلَاف، ***وهذه العَدَاوَات، هي مَبْنِيَة أَسَاس قَوْمِيَّات عُنْصُرِيَة، وليس على أساس اِختِلَاف في الأَنْظِمَة السياسية، أو في أَنْمَاط الإِنْتَاج الاقتصادية.***

## 2) حَرْب أُوكْرَانْيَا هِيَ تَنَافُسٌ على اِحْتِكَار الهَيْمَنَة على العالم

يَسْتَوْجِبُ الحَدِيث عن إِشْكَالِيَة ***تَعَدُّد الأَقْطَاب المُهَيْمِنَة*** على العالم، بِالضَرُورَة، تَنَاوُل، وَتَحْلِيل، ***الحَرْب الجَارِيَة حَالِيًّا*** (في سنة 2022)ـ ***في أُوكْرَانْيَا***. وَلَوْ أن الحَرب بين رُوسْيَا وَأُوكْرَانْيَا لَمْ تَكُن في أَصْلِهَا حَرْبًا بين أَقْطَاب عَالَمِيَة مُتَنَافِسَة، فَإن الدِّينَامِيَة العَالَمِيَة حَوَّلَتْهَا بِسُرْعَة إلى حرب غير مُبَاشِرَة بين أَقْطَاب العالم. لأن جَوْهَر هذه الحرب هو بالضَّبْط صِرَاع غير مباشر حَوْل مَن هو

الـقُطْب الـذي يَحِـقُّ لـه أن يَحْتَكِـرُ الهَيْمَنَة على العـالم. ***فَحَـرْب أُوكْرَانْيَا تَخْـفِي وَرَاءَهَا حَرْبًا غَيْر مُبَاشِـرَة بين قُطْب الولايات المتحدة الأمريكية والأقطاب الصَّاعِدَة (رُوسيا، والصِّين، الخ).***

وَأَبْـرَزُ حَـدَثٍ مُعَاصِـر يُعَبِّـر عن الصِّـرَاع حَـوْل اِحْتِلَال مَوْقِـع الهَيْمَنَة على العالم، أو الرَغْبَة في اِحْتِكَارِه، هو «الحَرْب بين رُوسْيَا وَأُوكْرَانِيَا».

ومنـذ يـوم 24 فـبراير 2022، إنطلقت ***«حَـرْب خاصّـة» بين رُوسْـيَا وَأُوكْرَانْيَـا.*** وهي «خاصّـة» لأن رُوسـيا تستـعمل جـزءًا محـدودًا مِن إِمْكَانَاتِهَا العسكرية. وَفي ظـاهر الأُمُور، تَجْـرِي هـذه الحـرب بين رُوسـيا وَأُوكْرَانْيَـا. لكن منـذ أن نـبدأ في تحليـل هـذا الصِرَاع، نَكْتَشِف أن الأمور هي مُعَـقَّدَة أكـثر مِمَّا يُمكن أن نتصوّر. حيث أن هذه الحرب (الجارية فوق تُرَاب أُوكرانيا) هي في العُمْق ***"حَـرب بالوكالـة" بين رُوسْـيَا مِن جِهَـة أُولَى، وَمِن جِهَـة ثَانِيَـة الحِلْـف العسـكري "النَـاطُو"*** (***NATO***)، الـذي يَجْمَـعُ الولايـات المتحّـدة الأمريكيـة، وَ 27 دَوْلَـة مِن أوروبّـا، والمَمْلَكَـة المُتَّحِـدَة، وَكَنَدَا، وَأُسْطْرَالْيَا، وَنْيُو زِيلَانْدَا، وَتُورْكْيَا (كَعُضْو في حِلْف النَاطُو)، الخ. وهذا الحِلْف يَشْمَل مُجْمَـل الإمبرياليات الغربيـة (أي أَمْرِيكَا والاتحاد الأوروبّي). وَيَحْظَى «حِلْف النَاطُو» بِدَعْم اليَابَان، وَكُورْيَا الجَنُوبِيَـة. وَتَعْتَبِـرُ ضِـمْنِيًّا إِسْـرَائِيل نَفْسَـهَا طَرَفًـا غَيْـر عَـادِيٍّ في «حِلْف النَاطُو». كَمَـا أن أعضـاء «حِلْف النَاطُو» يَعْتَبِـرُون ضِـمْنِيًّا أنهم مُلْزَمُون بِحِمَايَة إِسْرَائِيل، وَبِدُون شُرُوط مُسْبَـقَة. وَيَـدُور هـذا الصراع حول مَن يَحِقُّ له اِحْتِكَار الهَيْمَنَة على العـالم (هـل أمريكـا وحلـفاؤها الغربيّون، أم الصِّين وَرُوسْيَا وَأَقْطَاب أُخْرَى صَاعِدَة).

وَاعْتَبَرَ بعض المُلاحظين أن «***حَرْب أُوكْرَانْيَا هي فَخّ نَصَبَتْه الولايات المتحدة الأمريكية إلى رُوسيا***»، بِهَدَف اِسْتِدْرَاج رُوسْيَا في حَرْب مُكَلِّفَة، وَطَوِيلَة، وَمُنْهِكَة (مثلما حدث في المَاضِي لِرُوسْيَا في أَفْغَانِسْتَان بين سَنَتَي 1979 و 1989). والهَدَف مِن هذا «الفَخّ» هو اِسْتِنْزَاف رُوسْيَا، وإِضْعَافِهَا، وَرُبَّمَا تَشْتِيتِهَا. وَكَتَبَ مُنير شَفِيق: في المظهر، «روسيا هي التي حَشَدَت القوات العسكرية، وهي التي بدأت بشنّ الحرب، أو إطلاق النار [على أُوكْرَانْيَا]، ولكن في الواقع، أمريكا هي وَرَاءَ تَهْيِئَة المَيدان لاشتعال الحرب في أوكرانيا، وذلك بسبب السَعْيِ الحَثِيث لتوسيع [حِلْف] النَاتُو، حتى كادت تدخل أوكرانيا فيه، وتستكمل تطويق رُوسْيَا»[2].

وحتى لَوْ لَمْ يَكُن نَصْبُ هذا «الفَخّ» مُؤَكَّدًا، فقد اِنْتَهَزَت الولايات المتحدة الأمريكية وَحُلَفَاءها الأَوْرُوبِّيُون فُرْصَة اِنْطِلَاق «***حَرب أُوكْرَانْيَا***» لِفَرْض سِلْسِلَةً طَوِيلَة، وَسَاحِقَة، من «***العُقوبات الاقتصادية***»، ضدّ رُوسيا. وَيُهَيِّئُ الغَرْبُ عقوبات مُمَاثِلَة ضدّ الصّين، لِفَرْضِهَا، في مستقبل قَريب، مَثَلًا عبر اِسْتِغْلَال أَزْمَة مُقْبِلَة وَمُفْتَعَلَة بين الصِين وَجَزِيرَة طَايْوَان الصينية. (وجزيرة طَايْوَان تَحْظَى بِشِبْه اِسْتِقْلَال ذَاتِي، منذ أن هَزَمَ الحِزْبُ الشيوعيُ الصينيُ حزبَ الكُيُومِينْطَان، المُوَالِي لِلْإِمْبِرْيَالِيَة الغَرْبِيَة، في سنة 1949، بعد حَرْب أَهْلِيَة طَوِيلَة، اِبْتَدَأَت منذ قُرَابَة سنة 1927).

ولماذا هذا الصِّرَاع الحَادّ بين الغَرْب والشَّرْق ؟ ***لأن رُوسْيَا والصِين هما قُوَّتَان صَاعِدَتَان، وَتُنَافِسَان أمريكا في مَجَال الهَيْمَنَة على العالم.***

وكانت غاية أمريكا هي طَرْد رُوسيا من التجارة العالمية، ومِن السَيْطَرَة على بُلدان "العالم الثالث". لكن دُوَلًا من أوروبّا وغيرها، تَفَاجَأُوا بِأَنْ اِكْتَشَفُوا أن العَلَاقَات فيما دُوَل العالم مُتَدَاخِلَة أَكْثَر مِمَّا كانوا يَتَصَوَّرُون، وَأَنَّ هذه «العُقُوبَات الاقتصادية» أصبحت تَضُرُّ بِهِم أَكْثَر مِمَّا تَضُرُّ بِرُوسْيَا. وأنه يَصْعُبُ عليهم الاستغناء عن التجارة مع رُوسْيَا. وأنهم يَحْتَاجُون إلى اِسْتِيرَاد كثير من المَنْتُوجَات مِن رُوسْيَا، مثل الغاز، والبترول، والحُبُوب، والذَّهَب، واليُورَانْيُوم، والمَعَادِن، الخ).

## 3) كَيْفَ تُبَرِّرُ رُوسْيَا الحَرْبَ على أُوكْرَانْيَا

في دِعَايَة الدُوَل الغَرْبِيَة، «رُوسْيَا مُذْنِبَة في كلّ شَيْء، وَأُكْرَانْيَا بَرِيئَة في كلّ شيء». فَلِمَاذا هَجَمَت إِذَنْ رُوسْيَا على أُوكْرَانْيَا في 24 فبراير 2022 ؟ لِعِدَّة أَسْبَاب. أَبْرَزُهَا مَا يَلِي:

***أَوَّلًا***، لأن أُوكْرَانْيَا لَمْ تَلْتَزِم بِـ «بْرُوتُوكُول مِينْسْكْ» الذي وَقَّعَت عليه في 5 سبتمبر 2014.

***ثَانِيًا***، لأن أُكْرَانْيا هي جارة لِرُوسْيَا. وَلأن الرُّوس والأُكْرَانِيُّون هُم إِخْوَة، أو أَبْنَاء أَعْمَام. وَتَارِيخُهُم مُتَدَاخِل، أو مُشْتَرَك (مثلما هُو الحَال بين الجزائريّين والمغاربة). وبعض الرُؤَسَاء الذين تَعَاقَبُوا على رِئَاسَة الاتحاد السُوفْيَاتِي كَانُوا مِن أَصْلٍ أُوكْرَانِي (مثل نِيكِيتَا اخْرُوتْشُوفْ).

***ثَالِثًا***، لِأَن رُوسْيَا عَابَتْ على أُكْرَانْيَا أنها اِسْتَفَادت سَابِقًا من

مُساعدات وَهِبَات الاتحاد السُّوفْيَاتِي، قَبْلَ اِنْهِيَّارِه، بِما فيها الهِبَات التُرابية المُتَجَلِّيَة في "جزيرة القِرْم" (Crimée)، وَمَنَاطِق "دُونِيتْسْك" (Donetsk)، وَ"لُوغَانْسْك" (Lougansk). حيث أن قُرَابَة نِصف سكان المناطق الأُوكْرَانِيَة الشَرْقِيَة، ظَلُّوا مِن أَصْل رُوسِي، وَيَتَكَلَّمُون اللُّغَة الرُّوسِيَة. وَبِالرَّغْم من هذه الهِبَات التُرَابِيَة، تُريد اليوم أوكرانيا الانضمام إلى «حِلْف النَاطُو» (NATO)، الذي هو عَدُوّ رُوسْيَا. وَمَعْنَى ذلك أن أُوكْرَانِيَا تُريد الهِبَات القَدِيمَة المَمْنُوحَة مِن طَرَف رُوسْيَا، وَتُرِيدُ في نفس الوقت مُعَادَاة رُوسيَا (عبر السَّمَاح لِـ «حِلْف النَاطُو» NATO بِإِقَامَة قَوَاعِد عَسْكَرِيَة عُدْوَانِيَة على الحُدُود مع رُوسْيَا). وهذا تَنَاقُض تَرْفُضُه رُوسْيَا.

***رَابِعًا***، لأن رُوسْيَا عَابَتْ على دَوْلَة أُكْرَانْيَا أنها تَسَاهَلَت مع وُجُود، وَنُهُوض، ***حركات أُوكْرَانِيَة نَازِيَة***، وَمُسَلَّحَة، مِثْل "كَتِيبَة أَزُوفْ"؛ وأن هذه الحركات النَازِيَة تَسَرَّبَت دَاخِلَ أَجْهِزَة البُولِيس والجَيْش في دولة أُوكْرَانيَا. وَتُمَارِس هذه الحركات النَازِيَة اِضْطِهَادًا عُنْصُرِيًّا ضِدَّ سُكَّان شَرْق أُوكْرَانْيَا الذين هم من أصل رُوسِي. (وَتَنْكُر أُوكْرَانْيَا، والدُول الغَرْبِيَة، وُجُود هذه الميليشيات النَازِيَة. وَلَا تَقْبَل الكَلَام عنها. وَتَنْكُرَان أيضًا وُجُود حَرْب أَهْلِيَة في شَرْق أُوكْرَانْيَا. وَتُرِيدَان، في نفس الوقت، اِسْتِعْمَال هذه الحركات النَازِيَة لِمُحَارَبَة رُوسْيَا). وَتَنْشُرُ الحركات القَوْمِيَة، والحركات النَازِيَة الأُوكْرَانِيَة، كَرَاهِيَة مُطلقة ضِدَّ الرُّوس. وَتَخُوضُ «حَرْبًا أَهْلِيَة» مُسَلَّحَة، وَعَنِيفَة، وَمُدَمِّرَة، ضِدَّ سُكَّان مناطق شَرْق أُوكْرَانْيَا، مثل "دُونْبَاسْ"، وَ"لُوغَانْسْك"، لِإِجْبَارِهِم على الهِجْرَة إلى رُوسْيَا. أَيْ أَنَّهَا مَارَسَت «التَطْهِير العِرْقِي».

***خَامِسًا***، لأن الحركات الأُوكْرَانِيَة النازية تُعْلِنُ عَلَانِيَّةً حُبَّهَا، وَوَلَاءَهَا، لِلدول الْإِمْبِرْيَالِيَّة الغربية العَدُوَّة لِرُوسْيَا. وتعمل هذه الحركات النازية الأُوكْرَانِيَة على جَرّ الإمبرياليات الغربية إلى شَنّ حَرب كُلِّيَة ضِدَّ رُوسْيَا، بهدف تَشْتِيتِهَا، أو تَخْرِيبِهَا. ثم أَرَادَ النظام السياسي الجديد في أُوكْرَانْيَا (بعد اِنْقِلَاب سنة 2014) الاِلْتِحَاقَ بِعَدُوّ رُوسْيَا، المُتَجَلِّي في «حِلْف شَمَال الأَطْلَسِي» (أي حِلْف "النَاطُو" NATO)، تحت قِيَادة الولايات المتحدة الأمريكية. والتحاق أُوكْرَانْيَا بِـ «حِلْف النَاطُو» (NATO) سَيُؤَدّي حتمًا إلى إقامة قواعد عسكرية أمريكية في أُوكْرَانْيَا، تَكُونُ مُعَادِيَة لِرُوسْيَا، وَتَابِعَة لِـ "حِلْف النَاطُو"، مثلما حدث سَابِقًا في عِدَّة بُلْدَان مِن أَوْرُوبَّا الشَّرْقِيَة، مثل بُولَانْدَا، وَرُومَانْيَا، وَأَلْبَانْيَا، وَبَلْغَارْيَا، وَكْرُووَانْيَا، وَهَانْغَارْيَا، وَمَاسِيدْوَان الشمالية، وَاصْلُوفَاكْيَا، وَاتْشِيكْيَا، وَمُونْتِينِيغْرُو، وَمَاصِيدْوَان، وغيرها. كما سَيُؤَدّي اِلْتِحَاق أُوكْرَانْيَا بِـ "حِلْف الأَطْلَسِي" (NATO) إلى تَثْبِيت أَنْظِمَة مِن الأسلحة الهُجومية، وَرَادَارَات تَجَسُّس، وَصَوَارِيخ متنوّعة، فَوْق تُرَاب أُوكْرَانْيَا، أي بِالْقُرب من حُدود رُوسيا. الشيء الذي يُهَدِّدُ الأمنَ القَوْمِي لِرُوسْيَا.

***سَادِسًا***، لأن رُوسْيَا عَابَتْ على أُوكْرَانْيَا كَوْنَهَا سَمَحَتْ لِحَرَكَات أُوكْرَانِيَة نَازِيَة بِأَن تُدَبِّرَ «اِنْقِلَابًا سِياسيًّا» على شكل «اِنْتِفَاضَة شعبية»، في ساحة (مَيْدَان، بين يومي 18 و 20 فبراير 2014) في العاصمة كْيِيفْ (Kieev). وكانت هذه «الانتفاضة» مُدَعَّمَة، وَمُمَوَّلَة، في الخَفَاء، مِن طرف الإِمْبِرْيَالِيَات الغَرْبِيَة (وعلى رأسها الولايات المتّحدة الأمريكية). وَقَد شاركت القِوَى الأمريكية

الخَفِيَة في إِنْجَاح «اِنْـقِلَاب» سنة 2014 الذي جَرَى في أُوكْرَانْيَا. وَأَطَـاح هـذا «الانقلاب» بالنظـام السياسـي الأوكـراني الـذي كـان مُتَعَاطِفًـا مـع رُوسْـيَا. وَأَقَـامَت الحَرَكَـات النَازِيَـة الأُكْرَانِيَـة مَكَانَـه نظامًـا سياسـيا تَبَـعَيًّا لِأَمْرِيكـا، وَمُعَادِيًّا لِرُوسْـيَا. وقـامت هـذه «الانتفاضة» المَحْبُوكَـة بالإِطَاحَـة بـالرئيس الأُكْـرَانِي فِيكْتُـور لَانُوكُوفِيتْش (Victor Lanoukovitch) الذي هو مُتَعَاطِف مع رُوسيا. وَعَـوَّضَ المُنْتَفِضُـون ذلـك الـرئيس السّـابق بـالرئيس أُولِيكْسَـانْدَر تُورْتْشِينُوف (Oleksander Tourtchynov)، والذي هو مُنَاصِر مُطلق للـدول الغربيـة الإمبرياليـة، وعلى رأسـها الولايـات المُتّحـدة الأمريكية.

***سَابِعًا،*** لأن رُوسْيَا لَامَت أُوكْرَانْيَا على اِتّخَاذِهَا قَرَار سَحْب اللغـة الرُّوسـية من «لَائِحَـة اللغـات الوطنيـة» الـقائمة قانونيًـا في أُكْرَانْيَا. وبعـد هـذا القـرار، اِنْتَـفَضَ السُكَّان الأوكرانيّون مِن أصـل رُوسِي في منـاطق دُونِيتْسْـك (Donetsk)، وَلُوهَانْسْـك (Louhansk)، وَخَرْكِيـفْ (Kharkiv)، وَسِيبَاسْـتُوبُول (Sebastopol)، الخ، الموجـودة في شـرق أوكرانيـا. وَتَكَـوَّنَت «لِجَـان مُسـلّحة للـدفاع المـدني» في هـذه المنـاطق الشـرقية. بينمـا تُرِيـد الحركـات النازيـة الأوكرانيـة تَرْهِيب، أو طَرْد، أو تَهْجِير، أو قَتْل، السكّان الأُوكـرانيّين من أصـل رُوسِي.

وَفي 11 مـارس 2014، نَظَّمَت جمهوريـة جَزِيـرَة الـقِرْم (Crimée)، وَبِدَعْم مِن رُوسْيَا، اسْتِفْتَاءً لِتَقْرِير المَصِير، ولِلْاِنْـفِصَال عن أوكرانيا. لأن أغلبية كَبِيرَة مِن سُكَّان جَزِيرَة القِرْم، وَمُنذ عهد الاتحـاد السُّـوفْيَاتِي، هُم مِن أصـل رُوسِي. وفي 16 مـارس 2014،

قـرّرت جُمْهُوريـة القِـرْم الانضـمام إلى جُمهوريـة رُوسـيا الاتحاديـة. وَيُعَارِضُ الأُكْرَانِيُّون هـذا الانـفصال، ولا يعتـرفون بـه. لكن، كيـف يُمكن لِسُكَّان جزيـرة الـقِرْم أن يَبْقَوْا في إِطَـار أُكْرَانْيـا، في حِين أن سُكَّان الـقِرْم هم مِن أصـل رُوسِي بِنِسْبَة 95 %، وَأَن الأُوكْرَانِيّين يُكِنُّون لهم عَدَاءً مُطْلَقًا ؟ هذا غير مُمكن.

وفي 5 سبتمبر 2014، تَمَّ التَوْقِيع على «بْرُوتُوكُول مِينْسْكْ (أو مِينْسْـك الأول)» مِن طَـرَف مُمَثِّلِـي أُوكْرَانْيَـا، وَرُوسْـيَا، وَمَسـؤُولِين على رَأْسِ "الجمهوريات الشعبية" الاِنْفِصَالِيَة المُعْلَنَة في دُونِيتْسْـك وَلُوغَانْسْك. وكان هـدف هـذا الاتِفَاق هـو «إنهـاء الحَـرْب في شـرق أوكرانيا». وكان من بين بُنُود هذا البْرُوتُوكُول، «وَقْف إِطْلَاق النار»، وَ«تَنْظِيم لَامَرْكَزِيَة السلطات في أُوكْرَانْيَا، بِشَكْل يَمْنَحُ حُكْمًـا ذَاتِـيًّا مَحَلّـيًا في وِلَايَتَـيْ دُونِيتْسْـك وَلُوغَانْسْـك». لكن في ينـاير 2022، تَرَاجَعَت السـلطة السياسـية في أُوكْرَانْيَا عن هـذا البْرُوتُوكُول، وَلَم تَعُد تَـقْبَلُ به. «»

وفي 12 فـبراير 2015، وُقِّـعَت «اِتِـفَاقِيَة مينسـك الثانية» لِإِعَـادَة تَثْبِيت وَقْف إِطْلَاق النَار.

وفي 21 فبراير 2022 ، اِعْتَرَفَت رُوسيا باسـتقلال جُمْهُورِيَتَيْ دُونِيتْسْـــك وَلُوغَانْسْـــك، اللَّتَيْن نَصَّـــبَتَا نَـــفْسَيْهِمَا مِنْطَقَتَيْن مُنْفَصِلَتَيْن، في جِهَة دُونْبَاسْ بشرق أوكرانيا.

وَفي رَدِّهِم على اِعْتِـرَاض رُوسْـيَا على اِنْضِـمَام أُوكْرَانِيَـا إلى «حِلْف النَاطُو» (NATO)، تَدَّعِي بعض الدول الغَربيـة أن «أُوكْرَانْيَا هي دولـة مُسـتـقلّة، وَذَات سِـيَّادَة، وأنـه مِن حَقِّهَـا أن تَلْتَحِـقَ بِـأيّ حِلْـفٍ كَـان، بِمَـا فِيـه "حِلْـف النَـاطُو"» (NATO). وهـذا نَـوْع مِن

المُغَالَطَة، أو النِفَاق. ولماذا؟ لأن مَا تَتَجَاهَلُه الدوّل الغربية هو أن حقوق أُوكرانيا تنتهي حيث تبدأ حقوق رُوسيا. حيث ظلّت رُوسيا تُؤَكّد، منذ سنوات، أن «اِلْتِحَاق أُوكْرَانْيَا بِـ "حِلْف الناطو" هو هُجُوم خَطِير على رُوسْيَا، وعلى أمنها». وظلّت رُوسْيَا تُؤَكّد أنها لَا تَقْبَلُ بِأَنْ تُعَزّزَ أيّة دولة كانت أَمْنَهَا على حِسَاب أَمْن رُوسْيَا. وَوَرَاء أوكرانيا، اِصْطَفَّت فَوْرًا مُجمل دُوّل «حلف شمال الأطلسي» (NATO)، وعلى رأسهم الولايات المتحدة الأمريكية.

وَنُذَكّر هُنا بِسَابقة مُشَابِهة لِقَضِيَة تَرَشُّح أُوكْرَانْيَا لِلعُضْوِيَة في "حِلْف النَّاطُو" (NATO)، مع مَا يَنْتُج عن ذلك مِن نَشْر لِلصَّوَارِيخ الأمريكية على حدود رُوسْيَا. وهي ***سَابِقة أزمة الصواريخ السُّوفْيَاتِيَة المُودَعَة في جزيرة كُوبَا***، في أكتوبر 1962. فَرَغم أن كُوبَا هي دولة مُستقلّة وذات سِيَّادَة، ورغم أن كُوبا اِخْتَارت بحرّية التَحَالُف مع "الاتحاد السُّوفْيَاتِي"، واختارت تَثْبِيت صواريخ سُوفْيَاتِيَة على أرضها، فإن الولايات المتحدة الأمريكية هَدَّدت بِشَنّ حَرب شَامِلَة، وَنَوَوِيَة، ضِدّ كُوبَا، وَضِدّ الاتحاد السوفياتي، إذا لم يَسْحَب الاتحاد السُوفْيَاتِي بِسُرعة هذه الصواريخ النَوَوِيَة من جزيرة كُوبَا، التي تَبْعُدُ عن الولايات المتحدة الأمريكية بِـ 212 كِيلُومِتْر. وَدَفَعَت آنذاك هذه الأزمة الكُتْلَتَيْن (الاشتراكية والرأسمالية) إلى شَفَا حَرب نَوَوِيَة تُهَدّدُ العَالم بكامله بالاِنْقِرَاض. وقرّر آنذاك الرئيس السُوفْيَاتِي نِيكِيتَا اخْرُوتْشُوفْ تَهْدِئَة الأوضاع، وَسَحَبَ تلك الصواريخ من كُوبَا. وذلك مُقَابِلَ سَحْب بعض الصواريخ النووية الأمريكية من تركيا، وإيطاليا، وكذلك مُقَابِل وَعْد الولايات المتحدة بعدم غزو كوبا مرة أخرى (بعد المحاولة

الفاشلة في عام 1961).

لكن ***الإمبرياليات الغربية تعتبر أن مَا هُو حَقّ لَهَا، لَا يُقْبَلُ بِأَنْ يَكُون حَقًّا مُتَسَاوِيًّا لِمُنَافِسِيهَا، أو لِخُصُومها (مثل رُوسْيَا والصِّين)***. حيث أن الإمبرياليات الغربية ***تَرفض وُجود أسلحة سُوفْيَاتِيَة في كُوبَا المُجَاوِرَة لِأَمْرِيكَا، وتُريد فرض وُجُود أَسْلِحَة تَابِعَة لِـ "حِلْف النَاطُو" في أُوكْرَانْيَا المُجَاوِرَة لِرُوسْيَا***. وَلأن مِيزَة القِوَى الإمبريالية هي أنها دائمًا أنانية، وانتهازية، وَعَدَائِيَة، وغير قانونية، وَغَيْر عَادِلَة، وغير مَبْدَئِيَة، وغير أخلاقية، وَتَعْمَل دَائِمًا بِـ «***ازْدِوَاجِيَة المَعَايير***». ولا تهتمّ القِوَى الإِمْبِرْيَالِيَة سِوَى بمصالحها الخاصّة. وَلَا تُعِير أَيَّ اِهْتِمَام لِمَصَالِح الشُعُوب الأخرى.

## 4) مَاذَا كَان عَلَى أُوكْرَانِيَا أن تَفْعَلَه لِتَفَادِي الحَرْبَ

لَمْ تَكُن الحَرْب في أُوكْرَانِيَا حَتْمِيَة. بَل كَان مِن السَّهْل تَلَافِيهَا. بِشَرْط أن لَا يَرْتَكِب المَسْؤُولُون في دَولة أُوكْرَانِيَا أَخْطَاءً جَسِيمَة.

وَبَعْد اِنْطِلَاق حَرْب أُكْرَانْيا، حَدَثَت في أُكْرَانْيا تَحَوُّلَات خَطِيرَة في الجُغْرَافْيَا. وَغَدَت أُوكْرَانِيَا تَشْتَكِي مِن غَزْوِهَا مِن طَرَف رُوسْيَا، وَتَطْلُب مِنها الاِنْسِحَاب مِن عِدَّة مَنَاطِق مُحْتَلَّة، أَبْرَزُهَا : جزيرة القِرْم، وَمَنَاطِق دُونِيتْسْك، وَلُوغَانْسْك، الخ.

فَمَاذَا كان على أُوكْرَانِيَا أن تَفْعَله لِتَلَافِي الصِّدَام مع رُوسْيَا ؟

كان على أُوكْرَانِيَا أن تَقُومَ بِالتَدَابير التَالِيَة :

ـ كان على دَوْلَة أُوكْرَانِيَا أن تُدْرِكَ أن رُوسْيَا هي جَارَة أَبَدِيَة لِأُوكْرَانْيَا. وَأنها قُوَّة عَالَمِيَة في صِرَاع اِسْتْرَاتِيجِي، قَدِيم، وَشَرِس، مع الإِمْبْرْيَالِيَات الغَرْبِيَة، وعلى رأسها أمريكا. فَلَا يُقْبَلُ مِن أُوكْرَانِيَا أن تَسْتَفِزَّ رُوسْيَا، أو أن تُهَدِّدَ أَمْنَهَا القَوْمِي، أو أن تُعَادِيَهَا، أو أن تَدْخُل في أَحْلَاف مُعَادِيَة لِرُوسْيَا (مثل «حِلْف النَاطُو» NATO).

ـ وَكَان على أُوكْرَانِيَا أن تَفْهَم أنه لَا يُمْكِن لِأَيَّة قُوَّة في العالم (بما فيها أمريكا) أن تَحْمِيَ بِاسْتِمْرَار أُوكْرَانِيَا مِن بَطْشٍ مُحْتَمَل مِن طَرف رُوسْيَا.

ـ وكان على أُوكْرَانِيَا أَن تَلْتَزِمَ لِرُوسْيَا بِأَن لَا تَلْتَحِقَ بِـ «حِلْف الأَطْلَسِي» (NATO) المُعَادي لِرُوسْيَا والصّين.

ـ وكان على دَوْلَة أُوكْرَانِيَا أن لَا تَسْمَح لِأَيَّة قُوَّة سِيَاسِيَة أُوكْرَانِيَا بِمُمَارَسَة تَمْيِيز سَلْبِي ضِدَّ السُكَّان الأُوكْرَانِيّين مِن أَصْلٍ رُوسِي، أو أن تَضْطَهِدَهُم، أو أن تَعْتَدِيَ عليهم.

ـ وكان على دولة أُوكْرَانِيَا أن لَا تَمْنَع اِسْتِعْمَال اللُّغَة الرُوسِيَة في المناطق التي يَتَوَاجَدُ فيها سُكّان أُوكْرَانِيُّون مِن أَصْل رُوسِي.

ـ وكان على دولة أُوكْرَانِيَا أن تَمْنَعَ نُشُوء وَتَنَامِي حَرَكَات سياسية نَازِيَة (nazi)، وَمُعَادِيَة لِلْجَارَة رُوسْيَا.

لَوْ اِتَّبَعَت دولة أُوكْرَانِيَا هذه الإِجْرَاءات العَقْلَانِية المَذْكُورَة سَابِقًا، والتي لَا تُكَلِّفُ مَادِيًا، لَمَا قَامَت رُوسْيَا بِأَيّ عَمَل مُضادٍّ لِأُكْرَانْيَا، وَلَمَا وَقَع اِنْفِصَال جَزِيرة القِرْم والتِحَاقِهَا بِرُوسْيا، وَلَمَا حَدَثَت صِرَاعَات مُسَلَّحَة في المَنَاطِق الشَّرْقِيَة دُونِيتْسْك (

Donetsk)، وَلُوغَانْسْك (Lougansk)، وَمَارْيُوبُول (Marioupol)، الخ. وَلَمَا أَصْبَح المَصِير الْأَكْثَرُ اِحْتِمَالًا لهذه المناطق هو الاِسْتِقْلَال والاِنْفِصَال عن أُوكْرَانِيَا.

وَزَعَمَت بعض الحَرَكَات السياسية الأُكْرَانِيَة أن «رُوسْيَا هَيَّأَت الحَرْب قَبْلَ حُدُوثِهَا بِحَوَالَيْ 20 سنة». فَإِنْ كَانُوا حَقًّا على عِلْم بهذه الاِسْتِعْدَادَات، كان المَنْطِق يَفْرِضُ عليهم بِأَن يُهَدِّئُوا الأَوْضَاع الجَار الأَبَدِي، عَبْر طَمْأَنَة رُوسْيَا، وليس عَبر مُعَادَاتِهَا بِشَكْل مُبَالَغ فيه.

وَتَدَخَّلَت المُخَابَرَات الأجنبية، والقِوَى الخَاصَّة، النَابِعَة للإِمْبِرْيَالِيَات الغَرْبية، تَدَخَّلَت في أُوكْرَانِيَا، وَدَعَّمَت الحَرَكَات النَازِيَة الأُوكْرَانِيَة، وَنَظَّمَت اِنْقِلَابًا سِيَّاسِيا في سنة 2014، وَأَقَامَت سُلْطَة سِيَّاسية أُوكْرَانِيَة شَرِسَة، وَمُعَادِيَة لِرُوسْيَا، وَتَابِعَة لِلْإِمْبِرْيَالِيَّات الغَربية، وَعلى رَأْسِها أمريكا. وَشَنَّت حَرْبًا أَهْلِيَة شَرِسَة ضِدَّ السُكَّان الأُوكْرَانِيّين مِن أَصْلٍ رُوسِي، في شَرْق أُوكْرَانِيَا، بِهَدف تَرْهِيبِهِم، وَتَهْجِيرِهِم إلى رُوسْيَا. وَالآن، يَتَوَجَّبُ على أُوكْرَانِيَا أن تَصْبِر، وَأَن تُؤَدِّيَ ثَمَنَ أَخْطَائِهَا السَّابِقَة، وَالمُتَهَوِّرَة.

وَمِن بَيْن الدُرُوس المُسْتَخْلَصَة مِن تَجْرِبَة حَرْب أُوكْرَانِيَا، والتي تَهُمُّ مُبَاشَرَةً الشُعُوب المُسلمة، أو الناطقة بِالعَرَبِيَة، أَذْكُرُ مَا يَلِي :

ـ على الشُعُوب والدُول التي تَجِدَ نَفْسَهَا في جِوَار جُغْرَافِي صَعْب، أو مُتَنَاقِض (مثل المغرب والجزائر، أو السعودية والإمارات وإيران، أو مصر والسعودية، أو السعودية واليمن، الخ)، أن يُدْرِكُوا أن هذا الجِوَار الجُغْرَافِي أَبَدِي، وأنه مِن الحُمْق تَحَدِّي الجِيرَان وَمُعَادَاتِهِم، والتَحَالُف مَع قِوَى اِسْتِعْمَارِيَة، أو إِمْبِرْيَالِيَة،

عُدْوَانِيَة، وَبَعِيدَة بِآلَاف الكِيلُومِتْرَات، أو الثِقَة العَمْيَاء في الحِمَايَة المُفْتَرَضَة المَوْعُودَة مِن طَرَف الإِمْبِرْيَالِيَات الغَرْبِيَة. وهذه السياسة العُدْوَانِيَة المُتَهَوّرَة تُجَاهَ الجِيرَان، تُؤَدّي حَتْمًا إلى خَرَاب يَشْمَلُ كلّ الأَطْرَاف المُتَحَارِبَة. بَل الحَلّ الأحسن هو تَعَلُّم فَنّ مُعَالَجَة التَنَاقُضَات البَيْنِيَة، والمُرَاهَنَة على التَكَامُل مَع الجِيرَان، والتَعَاوُن مَعَهُم، وَبِنَاء مَشَارِيع مُشْتَرَكَة مَعَهُم. لأن المصالح المشتركة، والنضال المُشترك، هما اللذان يُوَحِّدَان الجِيرَان، وَيُقَوّيَانِهِم.

## 5) حَرْب أُوكْرَانْيَا نِعْمَة على الإِمْبِرْيَالِيَات الغَرْبِيَة

يجب أن لَا نَغْفِلَ أن حَرْب أُوكرانيا جَاءَت كَنِعْمَة ثَمِينَة، وَمُفِيدَة، على الإِمْبِرْيَالِيَات الغَرْبِيَة. وذلك لِعِدَّة اِعْتِبَارَات هَامَّة، أبرزها ما يلي :

ـ قَبْل عَهْد الرئيس الأمريكي جُو بَايْدَنْ (J. Biden)، كان «حِلْف الأَطْلَسِي» (NATO) في حالة مُزْرِيَة مِن الإِهْمَال، والضُعْف، والتَلَاشِي. وَسَبَقَ لِرَئيس جُمْهُورِيَة فَرَنْسَا، العُضْوَة في هذا الحِلْف، أن اِنْتَقَدَ «حِلْف الأَطْلَسِي»، وَاصِفًا إِيَّاهُ في حَالَة مِن «المَوْت الدِمَاغِي». وَسَبَقَ لِرِئَاسَة فرنسا أن دَعَت إلى إِنْشَاء حِلْف عَسْكَرِي خَاصّ بِدُوَل أَوْرُوبَّا وَحْدَهَا، وَمُسْتَقِل عن أمريكا. بَلْ في عَهْد الرئيس الأمريكي دُونَالْد تْرَامْبْ (D. Trump)، كان جزء مِن قيادة أمريكا تُفَكِّرُ في إِمْكَانِيَة الانسحاب من "الحِلْف الأَطْلَسِي"، أو حَلِّه.

وذلك بِدَعْوَى أن نَفَقَات تَسْيير هذا الحِلف يُكَلِّفُ اقتصاد أمريكا مَصَارِيفَ بَاهِظَة؛ وأن الحُلَفَاء الأَوْرُوبيُّون يَتَهَرَّبُون مِن المُسَاهَمَة المُتَكَافِئَة في نَفَقَات هذا الحِلْف. حيثُ أن دول أوروبّا الغَربية كانت تَرْفُضُ إيصَال مِيزَانِيَّاتِهَا العسكرية إلى 2 % مِن النَاتِج الدَاخِلِي (PIB) الخاص بها. وَبَعْد حَرْب أُوكْرَانِيَا، أُصِيبَت دُوَل أَوْرُوبَّا بِالرُّعْب مِن رُوسْيَا والصِّين، وَوَطَّدُوا عَلَاقَاتِهم بِأَمْرِيكَا، وَقَبِلُوا بِكُلّ مَا تَسْتَدْعِيه تَقْوِيَة «حِلْف الأَطْلَسِي».

ـ قبل حَرْب أُوكْرَانِيَا، كانت الإِمْبِرْيَالِيَات الأَوْرُوبّيَة تَغْتَاظُ مِن كَون أمريكا لَا تُخْبِرُهَا، وَلَا تُنَسِّقُ معها، بما فيه الكِفَايَة، فيما تَقُوم به بِأَجْهِزَة "الحِلْف الأَطْلَسِي». حيث اِسْتَعْمَلَت مثلًا أمريكا بعض أَدَوَات "حِلْف الأَطْلَسِي" (NATO) لِإِنْشَاء دولة جَدِيدة في أَوْرُوبَّا، هي "الكُوسُوفُو" (Kosovo)، في 17 فبراير 2008. وذلك دُون اِسْتِشَارَة دُوَل أَوْرُوبَّا، وَلَا مُوَافَقَتِهَا. وهذا الكُوسُوفُو هو منطقة مَأْخُوذَة من صِرْبْيَا (Serbie) التي لها رَوَابط صَدَاقَة تَاريخية مع رُوسْيَا. وَلَا تعترف بِدَوْلَة «كُوسُوفُو»، لَا "الاتحاد الأوروبّي" ( European Union)، ولَا "الأمم المتّحدة" (United Nations). كما أن أمريكا قَرَّرَت بشكل أُحَادِي وَمُفَاجِئ الانسحاب من أَفْغَانِسْتَان (في عام 2021)، وَتَخْفِيف تَوَاجُدِهَا العَسْكَرِي في الشَرْق الأَوْسَط، دُون استشارة، وَلَا مُوَافَقَة، دُول أوروبّا.

ـ منذ قُرابة 20 سنة قَبْل حَرْب أُوكْرَانِيَا، ظَلَّت الولايات المتّحدة الأمريكية تَطْلُب مِن حُلَفَائِهَا في دُوَل أَوْرُوبَّا، وَخَاصَّةً مِن أَلْمَانْيَا، أن يُقَلِّصُوا جَذْرِيًّا مُبَادَلَاتِهم التجارية مع رُوسْيَا (التي يَعْتَبِرُهَا "حِلْف الأطلسي" «عَدُوًّا»)، وَأَن يَسْتَغْنُوا عَن الغَاز

المُسْـتَوْرَد مِن رُوسْـيَا. لكن دول أوروبّـا لم تَكُن تَعْبَـأُ بِمَطَـالِب أمريكا. بل دَخَلَت ألمانيا في تَعَاوُن استراتيجي مع رُوسْـيَا لِإِنْشَـاء خَطّ أُنْبُوب الغَاز الأَوّل (Nord Stream 1)، ثم الثاني (Nord Stream 2)، عَبْرَ بَحْر البَلْطِيق، لِاسْتِيرَاد كَمّيَة مِن الغَاز الرُّوسي تَبْلُغُ قُرَابَـة 45 % مِن الغَـاز المُسْـتَهْلَك في ألمانيـا. وَتَبْلُـغ قُـدْرَة هـذا الخَـط الأوّل قُرَابَـة 38 مَلْيَـار مِتْـر مُكَعَّب سَـنَوِيًّا. وبعـد اِنْـدِلَاع حَـرْب أُوكْرَانِيَـا، أُصِـيبَت فَجْـأَةً دُوَل أَوْرُوبَّا بِـرُعْب شَـدِيد مِن رُوسْـيَا. وَتَـقَوَّى اِلْتِـفَاف الـدُول الغَربيـة حـول أمريكـا. وَأَخَـذَت الـدُوَل الأَوْرُوبِيَّة تَتَسَـابَق إلى تَطْبِيـق العُقُوبَـات الاقتصـادية على رُوسْـيَا، وَتَتَنَافَسُ في مُعَادَاتِهَا لِرُوسْـيَا، وَتَزِيـدُ في مِيزَانِيَتِهَا العَسْكَرِيَة لِكَيْ تَبْلُغَ 2 % مِن النَاتِج الدَاخِلِي الخَام (PIB). وَانْتَقَلَت الدُوَل الغَرْبِيَة مِن رَفْض مَطَالِب أَمْرِيكَا الرَّامِيَة إلى مُقَاطَعَـة رُوسْـيَا، إِلَى تَنْفِيـذِهَا بِحَمَاس كبير.

وهكذا، بعد حَرْب أُوكْرَانِيَا، زَالَت الكثير من المشاكل القديمة لِـ "حِلْف الأَطْلَسِي" (NATO). حيث أن عَدَاء الدُوَل الغَربيـة لِرُوسْـيَا والصِّـين تَضَـخَّمَ أكـثر مِمَّا كـان سَـابِقًا. وَأَنَّ دُوَل أَوْرُوبَّا تَوَحَّدَت، وَتَمَاسَكَت، حـول قُطْب الوِلَايَـات المُتّحـدة الأَمْرِيكِيَـة. وأن أَلْمَانْيَـا قَبِلَت التَخْطِيـط لِلتَخَلّي التَـدْرِيجي عن الغَـار الرُّوسـي في أُفُـق 2030. وأن كَثِيرًا من دُول أَوْرُوبَّا قَبِلَت رَفْع مِيزَانِيَتِهَا العَسْكَرِية. وَأن كُلّ تَقْلِيص في المُبَـادَلَات التجارية بين دُوَل أَوْرُوبَّا وَرُوسْـيَا، يُعَوَّضُ فَوْرًا بِتَـقْوِيَة المُبَـادَلَات التجارية بين دُوَل أَوْرُوبَّا وأمريكا. فَكَـان الـرَّابِحُ الأكـبر مِن حَـرْب أُوكْرَانِيَـا هـو الوِلَايَـات المُتَكَافِئَة الأَمْرِيكِيَـة. وَقَـوَّت حَـرْب أُوكْرَانِيَـا، مِن جِهَـة أُولَى تَرَابُـط الـدُّوَل

الأَوْرُوبِيَّة مَع أمريكا، وَمِن جِهَة ثانية تَرَابُط رُوسْيَا، والصِّين، وَإِيرَان، وَفِينِيزْوِيلَا.

## 6) قِيَادَة العَالَم تَكُونُ بِالطَلِيعِيَّة، وَلَيْسَ بِالقُوَّة القَاهِرَة

تَعْتَبِرُ الولايات المتحدة الأمريكية أنه مِن حَقِّهَا أن تَكُون هي ***القُطْب السَّائِد الوحيد في العالم***، وَأَنَّهُ يَحِقُّ لها أن تَحْتَكِر السَّيْطَرَة على العالم، واسْتِغْلَال ثَرَوَات بُلْدَانِه. وَتَرْفُضُ الولايات المتحدة الأمريكية أن تُنَافِسَهَا أيّة دولة أخرى حَوْل هذا الدَّوْر.

وَلَا تَتَحَمَّل الولايات المتحدة الأمريكية أن تُبَارِزَهَا القُوَّتَان الصَّاعِدَتَان، رُوسيا، والصّين، في مَيْدَان التِجَارة العالمية، وفي مَجال التَأْثِير على العالم، أو السَّيْطَرَة عليه. بَل تَرْفُضُ الإمبريالية الأمريكية أن تَتَمَتَّعَ رُوسْيَا والصِّين بِحُرِّيَة التجارة مع مُجْمَل دول العالم. (وَلِلتَذْكِير، فقد تَطَلَّب قَبُول الصِّين في "المُنَظَّمَة العالمية لِلتِجَارَة" أكثر من ثَلَاثِين عَامًا مِن المُفَاوَضَات الصَّعْبَة). وَتُرِيد الولايات المتّحدة الأمريكية أن تبقى هي ***القُطْب الوحيد المُهَيْمِن على العالم***. وَتَحْرُصُ الولايات المتّحدة الأمريكية على مَنْع روسيا والصّين مِن أن تَكُونَا قُوَّتَيْن عَالَمِيَتَيْن.

وَتَعتبر الولايات المتحدة الأمريكية، ودول أوروبا، و"حلف شمال الأطلسي"، أن «الصِّين هي العَدُو الأكبر»، وأن «رُوسْيَا هي عَدُوّ مَرْحَلِي اِنْتِقَالِي». وَبَعْد إِضْعَاف، أو تَشْتِيت رُوسْيَا، سَتَنْتَقِلُ

الإمبرياليات الغَربية إلى مُوَاجَهَة الصِّين. لِذلك تُحاول الولايات المتحدة الأمريكية وحُلَفَاءُهَا اِسْتِغْلَال فُرْصَة حَرب أوكرانيا (في سنة 2022) للإطاحة بالرئيس الرُوسِي فْلَادِيمِير بُوتِين (V. Poutine)، أَو لِإِضْعَاف رُوسيا، أو تَشْتِيتَهَا. كما أن الولايات المتحدة الأمريكية، وَحُلَفَاؤُهَا الغَرْبِيُّون، يعتبرون أن ***الشُعُوب الآسْيَوِيَة، وَشُعُوب أمريكا الْلَّاتِينِيَة، وَالشُعُوب المُسْلِمَة، والنَاطِقَة بِالعَرَبِيَة، هُم أَيْضًا جُزْءٌ مِن أَعْدَائِهِم الاِسْتْرَاتِيجِيّين.*** أما شُعُوب اِفْرِيقْيَا، فَيَعْتَبِرُونَهَا ضَعِيفَة إلى درجة أنها لَا تُؤْخَذ بِعَيْن الاعتبار.

وَمُنْذُ سنوات 2015، التي بَدَأَت فيها التِيَارَات السِيَاسِيَة اليَمِينِيَة تَتَصَاعُد في مُعْظَمِ الدُوَل الغَرْبِيَة (أَوْرُوبَّا وَأَمْرِيكَا)، أَصْبَحَ كَثِيرُون من السياسيّين الغَرْبِيّين، ***وَبِعُنْصُرِيَة مُتَعَمَّدَة***، يُقِيمُون تَطَابُقًا بين الإِرْهَاب الإِسْلَامِي (القَاعِدَة، ثمّ دَاعِشْ، الخ)، والإِسْلَام، والمُسْلِمين. وَخَلَقُوا مَوْجَة مِن الكَرَاهِيَة ضِدَّ الشُعُوب المُسْلِمَة، والنَاطِقَة بِالعَرَبِيَة. وَلَوْ أن الإِمْبْرْيَالِيَات الغَربية، بالإِضَافَة إلى الإِمَارَات العَرَبِيَة، وَقَطَر، والسَعُودية، الخ، هُم الذين مَوَّلُوا هذه الحَرَكَات الإِسْلَامِية الأُصُولِيَة والإِرْهَابية.

ومنذ اِنْدِلَاع هذه ***الحرب في أُكْرَانْيَا*** في فبراير 2022، نُلاحظ أن مُجمل الدول الرأسمالية الغربية خَضَعَت لِأمريكا (بما فيها المَمْلَكَة المُتَّحِدَة، وَأَلْمَانْيَا، وَفَرَنْسَا، الخ)، وَدَخَلَت في حَمْلَة عَدَائِيَة، وَشَامِلَة، وَمُتَوَاصِلَة، ضدّ رُوسْيَا. (وكانت كذلك، قُبَيْلَ اِنْدِلَاع حَرْب أُوكْرَانْيَا، قد اِنْزَلَقَت مُعظم الدول الغَربية في حَمْلَة دِعَائِيَة شَعْوَاء ضدّ الصِّين، وَضِدَّ المُسْلِمِين، وَضِدَّ العَرَب، أو

النَاطِقِين بِالعَربية). وَتَسْتَعْمِلُ الدول الغربية كل الوسائل في هذه الحَمْلَة العَدَائِيَة، بما فيها قَلْبُ الحَقَائِق، وَتَسْلِيح أُوكْرَانْيَا، وَتَزْوِيدُها بالمُعْطَيَات المُخَابَرَاتِيَة، وَنَشْر دِعَايَة شَرِسَة عبر قَنَوَاتِهَا التِلِفِزْيُونِيَة الفَضَائِيَة، وَعَبْرَ الإِنْتِرْنيتْ، وَالسِّينيمَا، والرياضة، والثقافة، إلى آخره.

وَتَزْعُمُ الدِعَايَة الغَرْبِيَّة أن الرَئيس الرُوسِي افْلَادِيمِير بُوتِين (Vladimir Putin) «دِيكْتَاتُورِي»، وَأن رُوسْيَا «اِسْتِبْدَادِيَة»، وفيها «فَسَاد». وَهَلْ أُوكْرَانِيَا أَقَلُّ دِيكْتَاتُورِيَةً وَفَسَادًا مِن رُوسْيَا ؟ وَهَلْ سَبَقَ لِأَمْرِيكَا وَدُوَل أَوْرُوبَّا، هُمْ أُنْفُسُهُم، أن تَعَامَلُوا بِمَنَاهِجَ دِيمُوقْرَاطِيَة، أو عَادِلَة، مع قَضَايَا شُعُوب "العالم الثالث"، ومنها مثلًا قَضِيَة فَلَسْطِين، وَقَضِيَة سُورْيَا، وَقَضَايَا العِرَاق، وَمَصْر، وإِيرَان، الخ ؟ أَلَمْ يَكُن رَفَاهُ البُلْدَان الغَرْبِيَة مَبْنِيًّا على أَسَاس قَهْر، وَاسْتِغْلَال، وَنَهْب، شُعُوب "العالم الثالث" ؟ أَلَمْ يَتَحَوَّل الدُّلَار الأَمْرِيكِي إلى أَدَاة لِلسَّيْطَرَة على العَالَم ؟ أَلَمْ يُصْبِح النِظَام الاِقْتِصَادِي العَالَمِي الحَالِي، المَبْنِي مِن طَرَف الدُوَل الإِمْبِرْيَالِيَة الغَرْبِيَة، هُو أَرْقَى تَحَايُل لِلسَّيْطَرَة على شُعُوب "العالم الثالث"، وَاسْتِغْلَالِهَا ؟

وبالنسبة لِكثير مِن شُعوب "العالم الثالث"، الذين يبحثون منذ عُقُود عن نَمَاذِج لِلْخُرُوج مِن التَخَلُّف المُجْتَمَعِي، لَمْ تَعُد الدُوَل الغَرْبِيَة (أمريكا وَأَوْرُوبَّا) نَمَاذِجَ تُثِيرُ الإِعْجَاب، بَلْ أَصْبَحَت الصِّين هي النَمُوذَج الذي يُثِير الاِهْتِمَام، نَظَرًا لِلسُّرْعَة التي نَمَت بِهَا الصِّين، وَنظرًا لِلْقُوَّة الهَائِلَة التي وَصَلَت إليها. فَغَدَت الصِّين هي الطَلِيعَة الأكثر أَهَمِّيَةً، والتي قَدْ تَرْغَبُ بعض الشُعُوب في الْاِقْتِدَاء بِهَا، في ميادين التَنْمِيَة المُجتمعية.

## 7) حِينَمَا تَضُرُّ العُقُوبَات الاقتصادية بِالمُعَاقِبِ، والمُعَاقَبِ

وَلِمُعَاقَبَة رُوسْيَا على حَرْبِهَا ضِدَّ أُوكْرَانِيَا، جَنَّدَت الوِلَايَات المُتَّحِدَة الأَمْرِيكِيَة حُلَفَاءَهَا التَقْلِيدِيّين، مثل دول "الاتحاد الأوروبّي" (الذي يَضُمُّ 27 دولة مِن أوروبا)، وَكذلك كَنَدا، وأستراليا، وَزِيلَانْدَا الجديدة، واليَابَان، وَكُورْيَا الجنوبية، وَطَايْوَان، وغيرها. وَجَرَّتْهُم أمريكا إلى فَرْضِ ***«عُقُوبَات اقتصادية»*** عُدْوَانِيَة، وَشُمُولِيَة، ضِدَّ رُوسيا. وتشمل هذه العُقوبات الاقتصادية المُبَادَلَات في ميادين التِجَارَة الدُوَلِيَة، والتِكْنُولُوجْيَا، وَالمَالِيَة، والبُنُوك، والمؤسّسات الدولية، الخ. وَتَهدف هذه «العُقُوبَات الاقتصادية» إلى تَرْكِيع رُوسْيَا، وَإِخْضَاعِهَا لِلْإِمْبْرْيَالِيَّات الغَرْبِيَة.

وَأَصْبَحَت هذه «العُقُوبَات الاِقْتِصَادِيَة» لَدَى الإِمْبْرْيَالِيَات الغَرْبِيَة هي البَدِيل المُفَضَّل عَن الحَرْب السَّاخِنَة والمُبَاشِرَة. وَغَدَت «العُقوبات الاقتصادية» لَدَى الإِمْبْرْيَالِيَات الغَربية بِمَثَابَة «سِلَاح الدَّمَار الشَامِل وَالنَاعِم». لكن عَدَدًا مِن دُوَل العالم رَفَضَ الالتزام بِتَطْبِيق هذه «العُقوبات الاقتصادية»، ومنها الصّين، وَالهِنْد، وَإِيران، والعديد مِن دُوَل إِفْرِيقْيَا، وآسْيَا، وَأَمْرِيكَا الجُنُوبِيَة، الخ).

وَلَمْ تَمْنَع هذه «العُقوبات الاقتصادية» الولايات المتحدة الأمريكية مِن أن تُخَصِّصَ (في يُونْيُو 2022) مِيزانية تَفُوق أكثر من 30 مليار دولار أمريكي لِبَعْثِهَا إلى أُوكْرَانْيَا على شكل أسلحة

مُتـنوّعة مِن صُـنْع أمـريكي. وهـذه الأسـلحة ليسـت هِبَـة، أو مُسَاعَدَات مَجَّانِيَة، وَإِنَّمَا تُحْسَبُ كَدُيُون طَوِيلة الأَمَد. وَسُرْعَان مَا تَبَيَّن أن الـدَّعْمَ العَسْـكَرِي لِأُوكْرَانْيَـا يَحْتَـاج إلى أَكْثَـرَ مِن تِلْـك المِيزَانِيـة الهَائِلَة (30 مليـار دُولار أمـريكي). لأن الحَـرْب الجَارِيَة في أُوكْرَانْيَا تَطْحَن في كُلّ يَوْم، وفي كلّ أُسْبُوع، كَمِّيَات ضَـخْمَة مِن المُقَـاتِلِين، وَمِن الأَسْـلِحَة المُتَنَوّعَـة، وَمِن البِنْيَـات التَحْتِيَـة، وَمِن الضَحَايَا في أَوْسَاط المَدَنِيّين، والمُهَجَّرين، وَاللَّاجِئِين.

وَتَتَّصِـفُ هـذه «العُقـوبات الاقتصـادية» بكونهـا مُمَنْهَجَـة، وَشَـامِلَة، وخَانِـقَة، وَعَدَائِيَـة، وَجَذْرِيَـة، وَمُنَافِيَـة لِلـقَانُون الـدُوَلِي. حيث أن هذه «العُقُوبَات الاقتصادية» تَتَنَافَى مع قَوَانِين التجارة العالمية التي وَضَعتها الأُمَم المُتَّحِدَة (United Nations). وَتَتَعَـارَضُ مع قَوَاعِـد «المُنَظَّمَـة العالميـة لِلتِجَـارَة» (OMC). لكن حِينَمَـا تَهُبُّ الـقِوَى الإِمْبِرْيَالِيَـة لِتَحْقِيـق مَصَـالِحِهَا، فَإِنَّهَـا لَا تَهْتَمّ بِـقَانُونِيَة مُبَادَرَاتِهَا.

وَتُـؤَدّي عَمَلِيًّا هـذه ***«العُقُوبَـات الاقتصـادية»*** إلى فـرض «حَظْـرٍ» اقتصـادي (embargo, blocus)، أو «مُقَاطَعَـة» (boycott) خَانِقَة على رُوسيا.

وَفي الـوقت الـذي تَطْلُبُ أمريكـا مِن حُلَفَاءَهَـا أن يَكُفُّوا عَن شِرَاء الغَاز (والبِتْرُول، وَمَوَاد أخرى)، مِن رُوسْيَا، فَإن أمريكا تَعْجِزُ عن أن تُوَفّرَ لِحُلَفَائِهَا الأَوْرُوبِيّين قُرَابَة 150 مليار مِتْـر مُكَعَّب مِن الغَاز الذي كانوا يَسْـتَوْرِدُونَهُ مِن رُوسْـيَا. وَلَا تَعْبَأُ أَمْرِيكَا بِكَوْن مَا تَطْلُبُه مِن حُلَفَائِهَا الغَربيّين يُؤَدّي بِاقْتِصَادَاتِهِم إلى الاِضْـطِرَاب، والاِنْكِمَاش.

وكانـت «العُـقُوبات الاقتصـادية» تهـدف إلى خَلـق تَضَـخُّم ( inflation) مُخَرِّب في رُوسيا، وإلى إضعاف اقتصادها. وَتَتَهَيَّأُ الدول الغربيـة لِفَـرْض «عُقُوبَـات اقتصـادية» مُشَـابِهَة على مُنَافِسَـتِهِم الاقتصـادية الصِّـين، (إِضَـافَةً إلى العُقُوبَـات الاقتصـادية الـقديمة، المَفْرُوضَـة منذُ عُـقُود، على بُلْدَان مُقَاوِمَـة لِلْإِمْبِرْيَالِيَـات الغَرْبِيَـة، مِثْل كُوبَا، وَإِيرَان، وفِينِيزْوِيلَا، وَسُورْيَا، وَكُورْيَا الشَمَالِيَة، الخ).

وفي نهاية شهر يونيو / حزيران 2022، اِجْتَمَعَت "فِرْقَة العَمَل" (task force) الـتي تَجْمَعُ الحُلفـاء الغَربـيين، والـتي تُـرَاقِبُ أَرْصِـدَة النُخَب الرُّوسِيَة (Repo). وَتَضُمُّ "فرقة العمل" (task force) كُلًّا مِن الولايات المتحدة الأمريكيـة، وأسـتراليا، وفرنسـا، وكنـدا، وألمانيـا، واليابـان، وإيطاليـا، والمملكـة المتحـدة، والمُفَوَّضِـيَة الأَوْرُوبِّيَـة. وَأَشَـارَت "فرقـة العمـل" (task force) إلى أنـه تَمَّ تَجْمِيد، أو حَظْـر، 30 مليار دولار من الأَرْصِدَةُ المَالِيَة المُودَعَة مِن طَرَف قُرَابَة 500 شخص من أصل رُوسِي في أَبْنَاك دُوَل "الاِتِحَاد الأَوْرُوبِّي". كَمَا أنها حَجَـزَت حـوالي 300 مليـار دُولَار من أُصُـول البنـك المركـزي الرُّوسِي[3]. وهذا اِعْتِدَاء، أو قَرْصَنَة، أو سَرِقَة، مُنَافِيَة لِكُلّ الأَعْرَاف والقَوَانِين الدولية. وَهَذَا السَّطْوُ على الأَرْصِدَة البَنْكِيَـة لِلْغَيْـر، يُحَطِّمُ مِصْدَاقِيَة، أو وُثُوقِيَة، المُؤَسَّسَات المالية الغربية. وَمِن الغَـرِيب أن تَكُون صِفَة «الـقُطْب المُهَيْمِن الوَحِيد على العَـالَم» تُعْطِي لِأَمْرِيكَا الـقُدْرَة على التَحَكُّم في الـدُوَل الغَرْبِيَّة والحَلِيـقَة لهـا، إلى دَرَجَـة جَعْـلِ هـذه الـدُوَل تُوَافِقُ على القِيَّام بِهـذا الحَظْـر البَنْكِي العُـدْوَانِي لِأَرْصِدَة الغَيْر، وَلَوْ أن هذا الحَظْر يَتَنَافَى مع القَانُون الدُوَلِي. وهـذا السُّـلُوك يُعَبِّرُ عن دَرَجَـة كُرْهِ رُوسْـيَا، وَاحْتِـقَارِهَا، مِن طَرَف تِلـك

الدُول الغَرْبيَة وَحُلَفَائِهَا.

وَدَعَى رَسْمِيًّا «المُفَوَّض الأوروبي لِلْعَدْل» ديدْييه رَايْنْدَرْزْ ( Didier Reynders)، الدُوَلَ الأَعْضَاء في "الاتحاد الأَوْرُوبّي" إلى القِيَّام بِإِجْرَاءَات عِقَابيَة مُمَاثِلَة لِتلك العُقُوبَات المَذْكُورَة سَابِقًا. وَبَرَّرَت الدِعَايَة الغَرْبيَة هذا التَجْمِيد لِلْأَرْصِدَة بِكَوْن «هؤلاء الأشخاص هُم أَغْنِيَاء، أو أَعْيَان، مِن أَصْل رُوسي». لكن القانون الدولي لا يُعْطِي لِلْأَبْنَاك الغَرْبيَة اِمْتِيَّاز السَّطْو على مُمْتَلَكَات أشخاص مُعَيَّنين، بِحُجَّة أنهم «أَغْنِيَاء، أو أَعْيَان، رُوس، أو أَعْدَاء».

وَمَعْلُوم أن «العُقوبات الاقتصادية» تستهدف كُلًّا مِن المُبَادَلَات التِجَارية، وَالتِكْنُولُوجْيَة، وَالمَالِيَة، والبَنْكِيَة، الخ. وَتَرْمِي إلى إِضْعَاف رُوسْيَا، وَإِخْضَاعِهَا لِأَمْرِيكا.

وَكَيْفَ كانت نَتَائِجُ هذه «العُقُوبَات الاقتصادية» الغَرْبيَة على رُوسْيَا، وعلى العالم، في سنة 2022 ؟ جُزْء هَام مِن نتائج هذه «العُقُوبات الاقتصادية» لم يَكُن مُتَوَقَّعًا، وَلَا مَرْغُوبًا فيه. لِذَلك شَبَّهَ بعض المُلَاحِظِين هذه «العُقوبات الاقتصادية» بِكَون «أمريكا وأوروبّا أَطْلَقَت رَصَاصَة على رِجْلِهَا».

وَأَبْرَز نتائج هذه «العُقُوبَات الاِقْتِصادية» الغَرْبيَة هي : اِغْتِنَاء الشَرِكَات الأَمْرِيكِيَة التي عَوَّضَت الْاِسْتِيرَاد مِن رُوسْيَا؛ ***وَارْتِفَاع في أثمان المواد البتْرُولية، والغَاز،*** في كل بلدان العالم الرأسمالي (دُونَ أن تَتَغَيَّرَ كُلْفَات إِنْتَاج هذه المَوَادّ)؛ ***وَتَزَايُد أَثْمَان الكثير من المنتجات*** الأخرى (مثل المَوَاد الغَذَائِيَة، والأَسْمِدَة، الخ)؛ ***وَارْتِفَاع في فَوَائِد القُرُوض*** البَنْكِيَة؛ وَتَصَاعُد ***التَضَخُّم*** (inflation)

المُدَمِّر (حَيْثُ أَصْبَحَ، في مُعْظَم بلدان العالم الغَرْبِي، يَتَرَاوَحُ في مَا بَيْن 5 إلى 10 %)؛ وَانْخِفَاض ***القُدْرَة الشِرَائِيَة*** لِلْمُوَاطِنِين؛ وَتَسْرِيح العديد مِن المَأْجُورِين (نَتِيجَةً لِلنَّقْص في الغَاز)؛ ***وَرُكُود أو انْكِمَاش اِقتصادي*** نِسْبِي في الكثير مِن اقتصادات البلدان الغربية؛ وَتَزَايُد في النَفَقَات العَسْكرية في رُوسْيَا وفي البلدان الغربية؛ وَتَنَامِي البِطَالَة؛ وَصُمُود ***عُمْلَة الرُّوبَلْ الرُّوسِي*** تُجَاه عُمْلَة الدُولَار الأمريكي (قبل بَدْءِ حَرْب أُوكْرَانْيَا فبراير 2022، كان الدُولَار الأمريكي يُسَاوِي 87 رُوبَل رُوسِي، وفي أبريل 2022، أصبح الدُولار الأَمْرِيكِي يُساوِي 54 رُوبَل رُسِي)؛ الخ. وَتَضَرُّر أَلْمَانْيَا مِن النَقْص في الغَاز المُسْتَوْرَد مِن رُوسْيَا، يَضُرُّ بِأَلْمَانِيَا كَ «قَاطِرَة» تَجُرُّ مُجْمَل اقتصاد أَوْرُوبَّا. وَحَتّى الوِلَايَات المُتَّحِدَة الأمريكية، ظهر فيها تَضَخُّم (inflation) يُقَارِبُ 8 %؛ الشيء الذي لَمْ يَحْدُث منذ أكثر مِن أَرْبَعِين عَامًا.

وَأَفَاقَ بعض الأشخاص الغَرْبِيُّون مِن سُبَاتِهِم، وَبَدَأُوا يُوَلْوِلُون، لِأَنهم اِكْتَشَفُوا فَجْأَةً أن «الدُوَل الغَرْبِيَة تُعَانِي مِن تَبَعِيَة اِقْتِصَادِيَة نِسْبِيَة تُجَاه رُوسْيَا والصِّين». حيثُ لَا تَقْدِرُ هذه الدُوَل الغَرْبِيَة على الاِسْتِغْنَاءَ عن غَاز وَبِتْرُول رُوسْيَا، وَعَن المَنْتُوجَات الصِّنَاعِيَة الصِّينِيَة الرَّخِيصَة. كأن هؤلاء الأشخاص الغَرْبِيُّون يُرِيدُون أن تَسُودَ دُوَلُهُم الغَرْبِيَة على مُخْتَلَف اِقْتِصَادَات العَالَم، وَفي نَفْس الوَقْت، يَرْفُضُون أن تَكُون مُخْتَلَف اِقْتِصَادَات العَالَم مُتَدَاخِلَة، وَمُتَشَابِكَة، وَمُتَرَابِطَة، وَمُتَكَامِلَة. وهذا تَنَاقُض غير مَعْقُول.

وَتَفَاجَأَ بعض الغَرْبِيِّين بِكَوْنِهِم لَا يَقْدِرُون على طَرْد رُوسْيَا والصِّين مِن الاقتصاد العالمي. وَأَنَّهُم يَتَضَرَّرُون مِن مُحَاوَلَة

مُقَاطَعَة رُوسْيَا والصِّين. لأن رُوسْيَا والصِّين هما، مثل الكَثِير مِن القِوَى العَالَمِيَة، مُنْدَمِجَتَيْن في الاقتصاد العالمي. وَيَبْلُغ حَجْم المُبَادَلات الاقتصادية بين أمريكا والصِّين قُرَابَة 750 مليار دُولار أمريكي، وبين أمريكا ورُوسْيَا قُرَابَة 150 مليار دُولار أمريكي.

لكن بِفَضل إِصْرَار رُوسيا والصين على مُقاومة الإِمْبِرْيَالِيَّات الغَرْبِيَة، أصبحت هذه «العُقوبات الاقتصادية» تُنْتِج تدريجيًّا نتائجَ مُعاكسة لأهدافها الأصلية. وَأَجْبَرَت هذه «العُقوبات» رُوسيا والصين على البدء في ***إِنْشَاء نظام اقتصاديّ وَمَالِيّ مُوَازٍ، وَبَدِيل***، عن النظام الاقتصادي العالمي القديم، الذي ظَلَّت تَسُود فيه الإِمْبِرْيَالِيَّات الغَربية. وبدأت دُول ***مجموعة «البْرِيكْس»*** ( ***BRICS***)، أي البَرَازِيل، وَرُوسيا، والهِنْد، والصِّين، وجنوب إفريقيا، بالإضافة إلى دول أخرى مثل إِيرَان، وَكُوبَا، وَفِينِيزْوِيلَا، الخ)، بَدَأَت تَقْبَلُ ***أَدَاءَ مُبَادَلَاتِهَا الاقتصادية بِالمُقَايَضَة*** ( ***troque***)، ***أو بِعُمُولَاتِهَا الوطنية، وليس بِعُمْلَة الدُّولَار الأمريكي.*** وهذا التَخَلِّي عن اِسْتِعْمَال عُمْلَة الدُّلَار الأَمْرِيكِي، هُو بِدَايَة سُقُوط النظَام التِجَارِي القَدِيم المَبْنِي على أَسَاس عُمْلَة الدُولَار الأَمْرِيكِي. وَيُهَدِّدُ بِانْهِيَّار القُوَّة الإقتصادية الأَمْرِيكِيَة. وَقَد شَرَعَت هذه الدُوَل الصَّاعِدَة (وأبرزها الصِّين، وَرُوسيا، والهند، الخ) في إنشاء نظام بديل ***لِنِظَام «اسْوِيفْتْ»*** (***Swift***) المُخَصَّص لِلَتْحْوِيلَات البَنْكِيَة. وهكذا تَتَأَسَّسُ تدريجيا الظروف المُلائمة ***لِصُعُود أَقْطَاب عالمية جديدة***، وَمُنَافِسَة لِقُطْب أمريكا.

## 8) اِسْتِغْلَال الإِمْبِرْيَالِيَة لِأُطْرُوحَة "حَقّ التَدَخُّل في الشُؤُون الدَاخِلِيَّة"

في نهايـة سـنوات 1980، اختـرع بعض السياسـيّين [مثـل بِرْنَارْد كُوشْنِيرْ (Bernard Kouchner)، وأستاذ القانون مَارْيُو بِتَاتِي (Mario Bettati)] أُطْرُوحَـة «***حَـقّ التَـدَخُّل في الشُـؤُون الدَاخِلِيَّة لِلدول، بِهَدف الدِّفَاع عن حُقُوق الإِنْسَان***». وَانْضَمَّ «الفَيْلَسُوف» الصَهْيُوني وَالمُزَوَّر بِيرْنَار هَنْرِي لِيـفِي (Bernard Henry Lévy) إلى الجُوقَـة المُرَوّجَـة لِهـذه الأُطْرُوحَـة. وَزَعَمُـوا أن «بعض الأوضـاع الاسـتثنائية ***تُبَـرّر عـدم احتـرام سِـيَّادَة بعض الـدول***». وَمِمَّا لَمْ يُدْرِكْهُ هؤلاء الأشخاص، هو أن الدُوَل الـقَادِرَة على تَنْـفِيذ «***حَقّ التَـدَخُّل في الشُـؤُون الدَاخِلِيَّة***»، ليسـت هي الـدُوَل الغَيُـورَة حَقًّا على احترام «***حُقُوق الإِنْسَان***»، وَإِنَّمَا هي فَقَط الأَقْطَاب المُهَيْمِنَة على العـالم، وهي خُصُوصًـا الـدُوَلَ الإِمْبِرْيَالِيَـة القَوِيَـة. وَتَسْتَـغِلُّ القِوَى الإِمْبِرْيَالِيَّة هذه الأُطْرُوحَة فَقَط لِخِدْمَة مَصَالِحِهَا الإِمْبِرْيَالِيَة الخُصُوصِيَة.

ورغم أن هذه الفكرة تَخْرُقُ سِيَّادَة الدول الضعيفة، وَتَتَنَاقَضُ مـع الـقانون الـدولي، فـقد رَوَّجَتْهَـا وسـائل الإعلام الغربيـة، ثُمَّ استـغلّتها الـدول الإمبرياليـة القـويّة لِتَبْرِيـر تَـدَخُّلِهَا في الشُـؤُون الداخليـة للـدّول الـتي تَكُـون خَصْـمَة، أو عَصِـيَّة، أو مُقَاوِمَـة، أو مُنَافِسَة، أو هَشَّة، أو فَرِيسَـة غَنِيَـة بِالمَعَـادِن. وهكـذا حَدَثَـتْ مَثَلًا «تَـدَخُّلَات» ضَـخْمَة، وَعَنِيـفَة، وَمُخَرِّبَـة، في كـلّ مِن كُوبَـا في سـنة

1962، والشِّيلِي في سنة 1973، وفِنِيزْوِيلَا في عِدَّة مَرَّات، والعراق في سنة 2003، وفي سوريا، وفي ليبيا، في سنة 2012، وفي عِدَّة بُلْدَان إِفْرِيقِية، الخ.

وَيَزْعُمُ بعضُ أَنْصَار الرَأْسَمَالِيَة، أن الدُوَل الغَرْبِيَة هي «المُدَافِع الوَحِيد» عَن قِيَم «الحُرِّيَة»، وَ«الدِّيمُوقْرَاطِيَة»، وَ«حُقُوق الإِنْسَان». وَأَنّ هذه القِيَم لَا تُوجَدُ، وَلَا تُحْتَرَم، سِوَى في الدُوَل الرَأْسَمَالِيَة الغَرْبِيَة. وَهذه مُغَالَطَة كُبْرَى. لأن الدُوَل الغَرْبِيَة (مثل الولايات المُتّحدة الأمريكية، وَدُوَل أَوْرُوبَّا، الخ)، إِنْ كَانَت تُمَارِسُ «الديمُوقْرَاطِية»، و«حُقُوق الإِنْسَان»، دَاخِل حُدُودِهَا، وَفي مَا بَيْنَهَا، فَإِنَّهَا، تُجَاهَ شُعُوب "العالم الثالث"، تُمَارِسُ سُلُوكِيَّات اِسْتِعْمَارِيَة، أو اِمْبِرْيَالِيَة، أو عُدْوَانِيَة، أَوْ مُسْتَغِلَّة، أو حَتَّى عُنْصُرِيَة. وَهذا يَتَنَاقَض مع مَصَالِح شُعُوبِنَا.

وَتَطْبِيقًا لأطروحة «***حَقّ التَدَخُّل في الشُؤُون الداخلية***»، شَنَّت أيضًا الوِلَايَات المُتَّحِدَة الأمريكية، ودُوّل أَوْرُوبَّا الغربية، ***حَمْلَة دِعَائِيَة ضخمة ضِدّ الصّين***، وذلك بِدَعْوَى أن «دولة الصّين دِيكْتَاتُورِيَة»، وأنها «تَضْطَهِدُ ***السُكَّان الْوِيغُور المُسْلِمين***»، المَوْجُودين في غرب الصّين. وهذه الحَمْلَة هي مُجَرَّد مُنَاوَرَة مُخَادِعَة. لأن الدول الغربية الإِمْبِرْيَالِيَة تُعَادِي «حُقُوق الإنسان»، وَلَا تَحْتَرِمُهَا، بَلْ تُرِيد اِسْتِغْلَال الاِخْتِلَاف النِسْبِي لِلسُكّان الْوِيغُور عن بَاقِي السُكَّان الصّينيّين بِهدف إِضْعَاف الصّين. ولأن الدُوَل الغربية تُحاول ***تَقْسِيم الصين***، عَبْرَ دَفْع السُكَّان الوِيغُور إلى ***الْاِنْفِصَال عن الصّين***.

وَإِذَا كَانت الإمبرياليات الغربية تَهتمّ حقيقةً بِمُعَانَاة

***المُسلمين الويغُور*** في الصّين، فَلِمَاذَا تَرْفُضُ هذه الدُول الغَربية، وَمُنْذُ عُقُود، أن تَهْتَمُّ أيضًا بِمُسْلِمين آخرين مُضْطَهَدين عبر العالم، مِثْل ***مُسْلِمي بِلاد اليَمَن*** الفَقِيرة، الذين تُقَاتِلُهُم دَوْلَتَيْ السعودية والإمارات الغَنِيَّتَيْن ؟ وَلماذا لَا تَهْتَمُّ الدول الغربية بِمُسْلِمين آخرين مُضْطهدين مثل ***"الرُّوهِنْغَا"*** (***Rohinghas***)، الذين تَضَطَهِدُهم دولة بُورْمَا (أو بِيرْمَانْيَا، أَيْ جُمهورية اِتِّحَاد مِيَانْمَار)، مُنذ عُقُود، وَتَحْرُمُهُم مِن جِنْسِيَتِهِم، وَتُسَلِّطُ عليهم مِيلِيشْيَات عُنْصُرِيَة وإِرْهَابِيَة، وَتَحْرُق بُيُوتَهُم، وَتَطْرُدُهم بالقوّة مِن بِلادهم الأصلية، وَتَحُثُّهُم على الهِجْرَة إلى بِلَاد بَنْغْلَادِيش المُسلمة المُجاورة ؟

وَلِمَاذَا لَا تَهْتَمُّ أيضًا الدول الغربية ***بالفلسطينيّين***، وَلَوْ أن هؤلاء الفَلَسْطِينِيّين يَتكوّنون من مُسلمين وَمَسِيحيّين؟ وَلماذا تَرْفُضُ الدول الغَرْبية الإمبريالية الاِعْتِرَافَ بِاضْطِهَاد الفَلَسْطِينِيّين مِن طَرف الإِسْرَائِيلِيّين؟ ولماذا تَتَعَامَل الدول الغربية مع إسرائيل كَأَنَّهَا مُسْتَعْمَرَة مُشْتَرَكَة لكلّ الدول الغربية ؟ ولماذا ترفض الدول الغربية الاعترافَ بِحُقُوق الشعب الفَلَسْطِينِي الذي تَسْتَعْمِرُهُ إسرائيل، وَتُهَجِّرُه، وَتَقْتُلُه، وَتُبِيدُه ؟ وَلِمَاذا تَتَجَاهَل الدول الغَربية كلّ الجرائم التي ترتكبها إسرائيل ضدّ الشعب الفَلَسْطِينِي، وَتَرْفُضُ أَيَّ تَدَخُّل في شُؤُون إسرائيل ؟ بَلْ ذَهَبَت بعض الدُوَل الغَرْبِيَة إلى حَدِّ تَقْنِين مَنْعِ نَقْد الصَهْيُونِيَة، أو إِسْرَائِيل، أو مُقَاطَعَتَهَا.

وَبِنَفْس التَكْتِيك المَعْرُوض سَابِقًا (أَيْ «حَقُّ التَدَخُّل في الشُؤُون الدَاخِلِيَة»)، تَحُثُّ الدول الغربية سُكّانَ ***جَزِيرَة طَايْوَان***

الصِينِيَة على ***الانشقاق عن الصّين***. وَتُزَوِّدُهَا بِأَسْلِحَة مُتَطَوِّرَة، وَهُجُومِيَة، واستراتيجية. وَرَغم أن القانون الدولي يَنُصُّ على «وَحْدَانِيَة الصِّين»، وَيُؤَكِّدُ أن جَزِيرَة طَايْوَان هي جُزْء مِن الصِّين، فَقَد صَرَّحَت مِرَارًا قِيَادَة أمريكا أنه «إذَا هَاجَمَت الصِّين طَايْوَان، فَإن أمريكا سَتَتَدَخَّل عَسْكَرِيًّا لِحِمَايَة طَايْوَان». وَيَسْتَعِدُّ قُطْبَ الإِمْبِرْيَالِيَة الأمريكية لِاسْتِغْلَال التَنَاقُض المُؤَقَّت بين طَايْوَان والصِّين، لِشَنّ حَرْب شُمُولِيَة ضِدَّ الصِّين. الشيء الذي قَدْ يُسَهِل اِنْدِلَاع حَرْب عَالَمِيَة نَوَوِيَة مُدَمِّرَة.

وَبِتَكْتِيك مُشَابِه لِلتَّكْتِيك السَّابِق (أَيْ «حَقّ التَدَخُّل»)، تُشَجِّعُ الدول الغربية (وكذلك إسرائيل)، وَتُسَلِّحُ، وَتُسَاعِدُ، السكّان ***الكُرْد*** (***kurdes***) على ***الْاِنْفِصَال عن العراق، وعن سوريا***، بِهَدف تَقْسِيم هذين البلدين، وإِضْعَافِهِمَا. وعلى خِلَاف ظُنُون بعض السِيَّاسِيِّين، مَا يَهُمُّ الإِمْبِرْيَالِيَّات الغَرْبِيَة، ليس هُو تَحْقِيق «تَقْرِير مَصِير الشعب الكُرْدِي»، وَإِنَّمَا هُو تَقْوِيَة الطَائِفِيَة، وَتَقْسِيم، وَإِضْعَاف، كُلٍّ مِن العِرَاق، وَسُورْيَا. وفي ضُعْف العِرَاق وَسُورْيَا، يَتَأَبَّدُ ضُعْف الأَكْرَاد. بَيْنَمَا المَصْلَحَة العُلْيَا لِلْأَكْرَاد، تَكْمُنُ في تَوْحِيد العِرَاق، وَسُورْيَا، وَرُبَّمَا حتّى لُبْنَان، والأُرْدُن، الخ. فَلِمَاذا لَجَأَت الوِلَايَات المُتَّحِدَة الأَمْرِيكِيَة إلى تَوحِيد نَفْسِهَا عَبْرَ دَمْج قُرَابَة 54 وِلَايَة (= 54 دَوْلَة) أَمْرِيكِيَة، وَلِمَاذَا تَلْجَأُ أَوْرُوبَّا إلى تَوْحِيد 27 دَوْلَة في «الإِتِحَاد الأَوْرُوبِّي»، بَيْنَمَا تُرِيد الإِمْبِرْيَالِيَّات الغَرْبِيَة لِبَقِيَة شُعُوب "العَالَم الثَالِث" أن يُحَقِّقُوا «تَقْرِير مَصِيرِهِم» عَبْرَ اِنْقِسَامِهِم إلى دُوَيْلَات طَائِفِيَة، وَقَزَمَة، وَضَعِيفَة، وَهَشَّة ؟ وَلِمَاذَا تُشَجِّعُ الإِمْبِرْيَالِيَّات الغَرْبِيَة «الْاِنْفِصَالَات»، وَ«الْاِنْقِسَامَات» في كُلّ

بُلْدَان العَالَم الثالث، بَيْنَمَا تَمْنَعُ «الإِنْفِصَالَات» و«الإِنْشِقَاقَات» دَاخِلَ بُلْدَانِهَا الخَاصَّة ؟ أَلَيْسَ هذا «تَدَخُّل في الشُؤُون الداخلية» لِشُعُوب أخرى؟ أَلَا يَتَنَافَى هذا النوع من التدخّل مع القانون الدولي؟ أَلَيْسَ هذا عمل تَقْسِيمِي، وَعَدَائِي، وَتَخْرِيبِي، ضِدَّ هذه البلدان المُسْلِمَة أو النَاطِقَة بِالعَربية؟ وَلِمَاذَا لَا تَقْبَل الدُوَل الغَرْبِيَة أن يَعْمَلَ أَيُّ كَان على تَشْجِيع بعض مَنَاطِقِهَا على الإِنْفِصَال (مثلًا في إِقْلِيم البَاسْك، أو إِيرْلَانْدَا الشمالية، الخ) ؟ أَلَيْسَت هذه سياسة إِمْبِرْيَالِيَة، وَعَدَائِيَة، وَمُخَرِّبَة ؟

وَلماذا تَتَّهِمُ الدول الغربية رُوسْيَا بِـ «ارْتِكَاب ***جَرَائِم حَرْب*** في أُوكْرَانْيَا»، وَفي نفس الوقت، تَنْكُرُ الدول الغربية جَرَائِم الحرب التي اِرْتَكَبَتْهَا الولايات المتحدة الأمريكية وَحُلَفَاءُهَا في كلّ مِن العراق في سنة 2003، وفي سُورْيَا، وَلِيبْيَا، في سنتي 2011 و 2012 ؟ ولماذا تَنْكُرُ الدول الغربية جَرَائِم الحرب التي تَرْتَكِبُهَا إسرائيل في الأراضي الفلسطينية المُحْتَلَّة، منذ سنة 1948 إلى اليوم ؟ ولماذا تَستعمل الدول الغربية «***اِزْدِوَاجِيَة في المَعَايِير***» كلّما تَعَلّقَ الأمر بِالفَلَسْطِينِيّين، أو بِإِسْرَائِيل ؟

وَتَدَّعِي الوِلَايَات المُتَّحِدَة الأمريكية، ودُوَل أُوْرُوبَّا، أنها «تُدَافِعُ عن شعب أُوكْرَانْيَا الذي تَعَرَّضَ لِلْاِحْتِلَال مِن طَرَف رُوسْيَا». وهذا نِفَاق أيضًا. لأن الدول الغربية لَا تَهْتَمُّ بِمَصِير شَعْب أُوكْرَانِيَا، مِثْلَمَا لَا تَهْتَمُّ بِمَصِير شُعُوب كَثِيرَة، وَإِنَّمَا تَسْتَغِلُّ هذا الحَدَث لِشَنّ حَرب بِالوَكَالَة ضِدّ رُوسْيَا. وَهَدف الدول الغربية الخَفِيّ، لَيْسَ هُو حِمَايَة الشعب الأُوكْرَانِي، وَإِنَّمَا هُو اِسْتِغْلَال التناقُض بين رُوسْيَا وَأُوكْرَانْيَا لِإِضْعَاف رُوسْيَا، وَلِلْإِطَاحَة بِالرئيس الرُّوسِي

افَلَادِيمِير بُوتِين. وَلَا يَهُمُّ الدول الغربية كَوْنَهَا تُضَحِّيَ بشعب أُوكرانيا في حربها غير المباشرة ضدّ رُوسيا. وفي نفس الوقت، تَرْفُضُ الدول الغربية الإِمْبِرْيَالِيَة اَلْاِعْتِرَافَ بِحُقُوق الشعب الفلسطيني الذي تَعَرَّضَ لِلْاِحْتِلَال، ولِلْاستعمار، من طرف الكِيَّان الصَهْيُوني الإسرائيلي.

لِنَتَسَائَل إِذَنْ : مَنْ تَدَخُّل في العِرَاق، وَسُورْيَا، وَلِيبْيَا، بِاسم «مُكَافَحَة الإِرْهَاب»، وَبِاسْم «الدِفَاع عَنْ حُقُوق الإِنْسَان» ؟ وَمَن خَرَّب تَخْرِيبًا كاملًا، كُلًّا مِن العِرَاق في سنة 2003، وَسُورْيَا وَلِيبْيَا في سنة 2011، بِهَدَف الإِطَاحَة بِأَنْظِمَة سياسية وَطَنِيَة، وَمُقَاوِمَة لِلْإِمْبِرْيَالِيَة، وَبِهَدَف إِبْقَاء إِسْرَائِيل مُتَفَوِّقَة في المِنْطَقَة ؟ وَمَنْ أَرْجَعَ هذه البلدان الناطقة بالعربية بِمِقْدَار سَبْعِين سنة إلى الوَرَاء ؟ وَمَن يَفْعَل كلّ مَا بِإِمْكَانِه لِإِبْقَاء الشُعوب الناطقة بالعربية في تَخَلُّف مُجْتَمَعِي شُمُولِي وَدَائِم ؟ وَمَن حَوَّلَ مُجْمَل البلدان العربية المُنْتِجَة لِلنَّفْط، أو لِلمواد الخَامّ، إلى «مَحْمِيَّات» خَاضِعَة، أو إلى «شِبْه مُسْتَعْمَرَات» مُسْتَغَلَّة، وَتَابِعَة لِلإِمْبِرْيَالِيَات الغَرْبِيَة ؟ أليست هي الولايات المُتّحدة الأمريكية، وَدُوَل أَوْرُوبَّا الغَربية، بما فيها فرنسا، وإنجلترا، وَأَلْمَانْيَا، الخ ؟

لَوْ أُسْتُعْمِلَت مثلًا أَمْوَال النَفْط العربي، بِمَنَاهِجَ وَطَنِيَة، وَعَقْلَانِيَة، خِلَال السَبْعِينَ عامًا المَاضِيَة أو أكثر، لَأَمْكَنَ تحويل مُجْمَل البلدان المُسلمة، أو الناطقة بالعربية، إلى مُسْتَوَى تَقَدُّم سَانْغَافُورَة، أو كُورْيَا الجَنُوبِيَة، أو الصِّين. لكن الدول الغربية الإمبريالية المُحْتَالَة، تَسْتَحْوِذُ على النَفْط، وعلى أموال النفط، وَتَسْتَثْمِرُ هذه الأموال داخل البلدان الغربية، وَلَا تَسْمَح بِاسْتِثْمَارِ

سِوَى جُزْء ضَعِيف، أو تَافِه، دَاخل البلدان الناطقة بالعربية.

## 9) مَصْلَحَة الشُعُوب تَكْمُنُ في تَعَدُّد وَتَنَافُس أَقْطَاب العَالَم

استراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية (كَقُطْب وَاحِد مُهَيْمِن على العالم) هي إِضْعَاف مُنَافِسِيهَا (مِثْل رُوسيا والصِّين)، وَتَشْجِيع الحركات الاِنْفِصَالِيَة فيهم، وَتَقْسِيمُهم، لكي تَبْقَى الولايات المتّحدة الأمريكية هي دائمًا ***القُطْب الوحيد*** القَوِيّ، وَالمُهَيْمِن على العالم.

وَبَعْد قُرَابَة ثلاثة قُرُون مِن مُمَارَسَة الاِسْتِعْمَار، والنَهْب، والقَهْر، والاِسْتِغْلَال، مِن طَرَف الدُوَل الغَرْبِيَة القَوِيَة، على شعوب "العالم الثالث"، يُصْبِحُ وَاضِحًا أن مَصْلَحَة هذه الشُعُوب، تَسْتَوْجِبُ التَحَرُّر مِن سَيْطَرَة وَاسْتِغْلَال الدُوَل الغَرْبِيَة. فَلَا تُوجَدُ مَصْلَحَة شُعُوب "العالم الثالث" في ***نظام عالمي ذُو قُطْب وَاحِد مُهَيْمِن***، يتجسّد في الولايات المتّحدة الأمريكية، وفي حِلْفِهَا العسكري "حِلْف شمال الأَطْلَنْطِي" (NATO). لأن وَحْدَانِيَة القُطْب الإِمْبِرْيَالِي تَدْفَعُ هذا القُطْب الوَحِيد إلى الإِفْرَاط فِي اِسْتِغْلَال، وَاضْطِهَاد، وَقَهْر شُعُوب العالم المُسْتَضْعَفَة. بَلْ تَكْمُن مصلحة شعوب العالم الثالث في أن يكون ***النظام العالمي ذُو أَقْطَاب مُتَعَدِّدة، وَمُتَنَافِسَة فِيمَا بَيْنَهَا***. ومن مصلحة شعوب العالم الثالث أن

تكون رُوسيا والصِّين دَوْلَتَيْن قَوِيَّتَين، لكي تَسْتَطِيعان مُنَافَسَة، وَمُقَاوَمَة، الدول الغربية الإمبريالية.

وَتَعَدُّد أَقْطَاب العالم، وَتَنَافُسُهَا (وَلَيْسَ القُطْب الوَحِيد)، هو الذي يُنَمِّي ظُرُوفًا أَحْسَن لِلْمُنَاوَرَة، وَيُوَفِّر شُرُوطًا مُلَائِمَة لِنَهْضَة شُعُوب العَالَم، وَلِتَصَاعُد مُقَاوَمَاتِهَا، وَحَتَّى لِتَنَامِي كِفَاحَاتِهَا المُتَنَوِّعَة ضِدَّ الأَقْطَاب الإِمْبِرْيَالِيَة، وَضِدَّ الأَنْظِمَة الرَأْسَمَالِيَة، بِهَدَف بِنَاء أَقْطَاب نَقِيضَة وَبَدِيلَة لِهذه الْأَقْطَاب الإِمْبِرْيَالِيَة أو الرَأْسَمَالِيَة.

وَبِنَفْس المَنْطِق، نُذَكِّرُ هُنَا أنه، حِينَمَا يَكُون المُجْتَمَع مُضْطَرًّا لِلعَيْش في نِظَام رَأْسَمَالِي، يَصْبِحُ مِن مَصْلَحَة مُجْمَل أَفْرَاد هذا المُجْتَمَع أن تَكُون أَقْطَاب الاقتصاد (أو الشَرِكَات) مُتَعَدِّدَة، وَمُتَنَافِسَة، بَدَلًا من أن يَكُون الاقتصاد خَاضِعًا إِلَى قُطْبٍ اقتصادي وَاحِد اِحْتِكَارِيّ. وَتَفْضِيل هذا التَعَدُّد، وهذه المُنَافَسَة، لَا يَعْنِي أننا نُمَجِّدُ أَيَّ قُطْب اِقْتِصَادِيّ مَهْمَا كَان.

وحتى إذا أصبحت رُوسيا والصِّين رَأْسَمَالِيَّتَيْن، وحتى إذا كانت بعض سُلُوكِيَّات رُوسيا أو الصِّين تَتَّصِفُ بالإِمْبِرْيَالِيَة، فمن الأفضل لكل دولة في "العالم الثالث" أن يكون بِإِمْكَانها أن تختار بِحُرِّيَة بين عِدَّة أَقْطَاب عالمية مُتَنَافِسَة، لِكَيْ تَتَعَامَل هذه الشُعُوب في كلّ مرّة، مع القُطْب الذي هو الْأَقَلُّ ضَرَرًا لَهَا، أو الأَكْثَرُ نَفْعًا.

وهذا هو ما اِكْتَشَفَتْهُ حَدِيثًا بعض الدول الإفريقية. حيث وَجَدَت أن رُوسيا والصِّين، في مَجَال المُبَادَلَات الاقتصادية، مُسْتَعِدَّتَان لِمَنْح الدول الإفريقية أكثر مِمَّا تَمْنَحُهَا الدول الغربية.

وَ لَاحَظَت أن رُوسيا والصين هما أَقَلُّ تَحَايُلًا، وَأَقَلُّ غِشًّا، وَأَقَلُّ اسْتِغْلَالًا، بالمُقارنة مع غِشّ واستغلال الدول الغربية الإمبريالية.

وبعض الدول العربية المُحافظة، مثل السعودية والإمارات، التي كانت مِن قَبْل تُرَاهِنُ كُلِّيًا على الولايات المُتّحدة الأمريكية لِضَمَان أمنها، وَتَعَرَّضَت مَرَّات عَدِيدة لِلتَحَايُل، ولِلخِدَاع، وَلِلنَّهْب، المُمَارَس مِن طرف الولايات المتّحدة الأمريكية، والدول الغربية. ونُلاحظ اليوم (في شهر ماي 2022)، أن هذه الدول العربية المُحافظة، أَقْدَمَت على تحسين علاقاتها مع رُوسيا والصّين. وذلك رغم ما تَتَعَرَّضُ له هذه الدول العربية المُحافظة مِن ضُغُوطات مِن طرف الولايات المتّحدة الأمريكية، لِثَنْيِهَا عَن إِقَامَة عَلاقات عادية مع رُوسْيَا والصّين.

وَخِتَامًا، أُسَطِّرُ الاِسْتِنْتَاجَات التالية:

ـ في العَصْر الحَديث، لَا يُمكن لِلْحَرْب أن تَبْقَى مَحْصُورَة في مَيَادين المَعَارِك، وَإِنَّمَا تَمْتَدُ بِسُرْعَة إلى ميادين الاقتصاد، والمَالِيَة، والإِعْلَام،

ـ مُعْظَم الأَشْخَاص يُدْرِكُون أنه، إِنْ كانت الحَرْب قَادِرَة على تَغْيير الأَوْضَاع السياسية، فَإِنَهَا لَا تَقْدِرُ على مُعَالَجَة المَشَاكِل السياسية. بَلْ تَأْتِي الحُرُوب بِقَتْلَى، وَجَرْحَى، وَخَرَاب هَائِل. وَتَخْلُقُ الحُرُوب مَوَازِين قِوَى جَدِيدَة، بِوَاسِطَة القُوَّة، والعُنْف، والاِكْرَاه، وليس بِالمَنْطِق، أو بِالعَقْل، أو بِالعُلُوم. وَلَا تَسْتَطِيع الحُرُوب إِقْنَاع الأَفْرَاد، أو الجَمَاعَات، أو الشُعُوب، بِأَفْكَار جَدِيدَة؛ وَلَا تَقْدِرُ على مُسَاعَدَتِهم على تَحْسِين أو تَصْوِيب أَفْكَارِهِم، أو مُعْتَقَدَاتِهِم، أو سُلُوكِيَّاتِهم.

ـ إِنْ كانـت الحَـرْب مَفْرُوضَـة علينـا، فـإن مَصْـلَحَة شُـعُوب "العالم الثالث" تَكْمُنُ في اِنْتِصَار رُوسْيَا والصِّين على الإِمْبِرْيَالِيَـات الغَرْبِيَـة، وَتَكْمُنُ فِي اِنْهِـزَام الاِمْبِرْيَالِيَـة الأَمْرِيكِيَـة وَحُلَفَائِهَـا، وفي اِنْتِقَال العَـالَم مِن «قُطْب وَاحِـد مُهَيْمِن على العـالم»، إلى «أَقْطَـاب سَائِدَة مُتَعَدِّدَة، وَمُتَنَافِسَـة». وَتَبْـقَى هـذه الأطروحـة سديدة، سَوَاءً كانـت الأَقْطَـاب الصَّـاعِدَة (رُوسْيَا، والصِّين، الخ) دِيمُوقْرَاطِيَـة أم اِسْـتِبْدَادِيَة؛ وَسَـوَاءً كانـت هـذه الأَقْطَـاب الصَّـاعِدَة رَأْسَـمَالِيَة أم اِشْتِرَاكِيَة.

ـ وَمَن يَـرْفُضُ أُطْرُوحَـة تَعَـدُّد الأَقْطَـاب السَّـائِدَة في العـالم، سَيُصْـبِحُ مُـدَافِعًا عن أطروحـة مُنَاقِضَـة، هي تَفْضِـيل دَوَام هَيْمَنَـة القُطْب الوَحِيد الحالية. مع كلّ مَا تعنيه هذه الوضعية مِن تَنْكِيل بِشُعوب "العالم الثالث".

ـ وَتَعَـدُّد الأَقْطَاب القَـوِيَّة في العَالَم، وَتَنَافُسُهَا، لَا يُعْـفِي أَيَّ شَـعْب مِن وَاجب الحِرْص على ***الاِعْتِمَاد على النَفْس***.

رحمان النوضة، (28 ماي 2022).

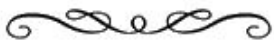

(1) أنظر كتاب رحمان النوضة :

https://livreschauds.wordpress.com/2019/04/28/هل_ما_زالت_الماركسية_صالحة_بعد_انهيار_الاتحاد_السوفياتي/

(2) منير شفيق، في مقال "أيّ عالم رهيب بانتظار الإنسانية؟"، arabi21.com/story/1447551/

(3) https://www.lefigaro.fr/economie/ukraine-ue-20220712